





روايات مصرية للجيب

زهور ١٨

حب وكراهية

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هـذا الزمن الذى طغت فيـه الأطماع المـادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهـذا النـوع من الحب .. نحتـاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ لقاء وتعارف ..

تصارعت فى أعماق (سهام) مشاعر شتى ، تجمع ما بين الضيق ، والخجل ، والقلق ، والاهتمام ، إزاء تلك النظرات الجريئة ، التى يرمقها بها ذلك الشـاب الوسيم ، ذو القامة الطويلة ، والعينين العسليتين ، اللتين تمتلئان غموضاً وجاذبية ..

ولقد كانت (سهام) تدرك ، ودون غرور ، أنها تمتلك قدراً وفيراً من الجمال .. ذلك الجمال الذى يعلن عن نفسه فى تلك العينين الزرقاوين ، وذلك الشعر الذهبى ، الذى يحيط بوجهها المشرق ، ويضفى مزيداً من الجمال على قوامها الممشوق ، وهو جمال نادر ، انحدر إليها من أجداد والدتها الأتراك ..

وكانت تدرك أيضاً أنها ليست الوحيدة، التى تملك هذا القدر الوفير من الجمال ، فالحفل الذى دعتها إليه صديقتها (رجاء) ، بمناسبة عيد ميلادها ، كان يذخر بالحسان ، اللاتى يفوق جمال بعضهن جمالها وجاذبيتها ..

بل إن بعضهن لم تنقصهن الجرأة على مغازلة ذلك الشاب ، ومحاولة الاستئثار باهتمامه ..

ولقد كان يستحق ذلك بالفعل ..

إنه يجمع بين الوسامة ، والرجولة ، والنضج ، ويشف مظهره الأنيق عن ثراء لا بأس به ، مما جعله – فى أعينهن – رجلا يمتلك كل الخصائص والمميزات ، التى تجعله مرموقاً ، مرغوباً ..

وعلى الرغم من أسلوبه المهذب اللبق ، واستطاعته مجاملة ذلك الحشد من الفتيات ، اللاتى أحطن به ، إلاّ أن بصره ظل معلقاً بصاحبة العينين الزرقاوين ، والشعر الذهبى ، التى جلست تستمع فى هدوء إلى أنغام موسيقية كلاسيكية ، تنبعث فى رفق ونعومة من جهاز التسجيل ..

وكانت نظراته تحيط بها ، وتلفها ، مما بعث فى نفسها مزيجاً من الارتباك والاضطراب ..

ومن الواضح أن صديقتها (رجاء) قد لاحظت ذلك ، فقد اقتربت منها ، وهى تقول ضاحكة :

– يبدو أنك الوحيدة ، فى هذا الحفل ، التى استأثرت باهتمام (شهريار) .

ارتسمت على شفتى (سهام) ابتسامة خجلى ، وهى تغمغم :

– (شهريار) ؟!

– نعم .. إنه الاسم الذى نطلقه على (مختار حمدى) ذلك الشاب الوسيم الثرى ، الذى لا يرفع عينيه عنك ، والذى أصبح محط أنظار الفتيات ، ورجال الأعمال ، منذ ظهر فى الإسكندرية فجأة ، فى العام الماضى .. ألا تلاحظين كيف ينظر إليك ؟ .. إنك محظوظة بالتأكيد ، فهو – نادراً – ما يمنح أحداً اهتمامه .. إنه يترك الآخرين فقط يهتمون به ، ويسعون إليه .

– ولكننى لم أسمع به ، ولم أره من قبل .

– لأنك تعيشين مع أسرتك فى دائرة مغلقة ، تخشون الخروج منها .. إنك تعلمين يا (سهام) أننى صديقتك الوحيدة ، منذ قررت أسرتك اعتزال الناس والمجتمعات التى كنتم نجومها فيما مضى ، وعلى الرغم

من ذلك ، اقتضى الأمر جهداً هائلا ، حتى أقنعك
بحضور حفل عيد ميلادى .

– (رجاء) .. أنت تعلمين أن أمى سيدة مريضة ،
وهى تحتاج إلى وجودى بالقرب منها دائماً ، كما أن أبى
قد اعتزل الناس ، والحياة الاجتماعية ، منذ فقد ثروته ،
وأثقلت الديون كاهله ، حتى اضطر إلى بيع القصر
الكبير الذى كنا نقطنه .. لقد تغير الزمن كثيراً
يا (رجاء) .. لم نعد عائلة (شاكر باشا) ، التى تنتمى
إلى المجتمع الراقى ، وتفخر بدعوتها ومخالطتها كل
عائلات مصر .. إننا الآن مجرد أسرة صغيرة بسيطة ،
تقيم فى شقة متواضعة ، فى حى شعبي بالإسكندرية ،
وتحيا من إيراد منزل صغير ، هو كل ما تبقَّى لنا من
حطام الدنيا ..

– (سهام) .. لِمَ تقولين ذلك ؟

– لأننى لم أعد (سهام) الصغيرة المدللة ، التى
عرَفْتِها فيما مضى .. إننى الآن أفهم حقيقة نفسى جيداً ،
وحقيقة الواقع الذى انتقلتُ إليه ، وينبغى علىَّ أن

أتقبَّله ، وأتعايش معه ، وأتصرف فى حدود إمكانات
أسرتى الحالية ، ولا تتصورى أننى حزينة من أجل
ذلك .. كلاَّ .. لقد تأقلمت مع ظروفى الجديدة ،
واعتدتها فى سرعة ، ولكن حزنى الآن يتجه إلى أبى ،
الذى يصرُّ على العيش فى أوهام الماضى ، ويرفض
الاعتراف بالواقع .. يرفض الاعتراف بأننا لم نعد
نملك ثروة أو ألقاباً أو نفوذاً .. إن الصراع القائم فى
أعماقه ، بين ماضيه وحاضره ، يكاد يذهب بعقله ،
وحالته تزداد سوءاً كلما رأى أمى المريضة ، التى
لا يملك أن يفعل لها شيئاً ، على الرغم من حبه الشديد
لها .. إننى أشعر بعذابه .. عذابه من أجلها .. ومن
أجلنا ، ومن أجل حياتنا الجديدة ، التى يرفض
الاعتراف بها .. وهكذا ترين أنه من العسير علىَّ أن
أبتعد عن أسرتى ، خاصة أن تلك الأجواء التى تتسم
برائحة الثراء والبذخ لم تعد تناسبنى كما كان فى الماضى .

– هل ستضحين بجمالك وشبابك بسجن نفسك
فى منزلك دوماً ؟!

ـ هذا لا يضايقنى كثيراً ، فأنا ـ كما تعلمين ـ أميل إلى العزلة والهدوء ، حتى حينما كان مستوانا الاجتماعى يفرض علينا نوعاً من المجاملات واللباقة ، ولولا صداقتى لك ، وحرصى على إرضائك ،وإصرارك على دعوتى ، ما حضرت مثل هذا الحفل أبداً .

ـ لو أنك لم تفعلى ، لفقدت صداقتى لك إلى الأبد .

استغرقهما الحديث ، حتى فوجئتا بالشاب الوسيم يتقدم نحوهما ، ويقول لـ (رجاء) :

ـ أهكذا اعتدت معاملة ضيوفك .. بإهمالهم طيلة الوقت ؟

وحوّل بصره إلى (سهام) ، مستطرداً فى جرأة :

ـ أم أن صديقتك الجميلة قد استأثرت باهتمامك كله ؟

ضحكت (رجاء) ، وهى تقول :

ـ معذرة يا (مختار بك) ، فـ (سهام) هى أعز صديقاتى .

ابتسم دون أن يحوّل بصره عن (سهام) ، قائلا :

ـ أعتقد أن جمالها الملائكى يشفع لك ، ويجبرنى على قبول اعتذارك .

أبدت (سهام) امتعاضاً واضحاً ، إزاء هذه المغازلة الجريئة ، واكتسى وجهها بالغضب ، ولكنها لم تلبث أن استعادت هدوءها ، وهى تقول لصديقتها :

ـ لن أدعك تهملين ضيوفك أكثر من ذلك .. سأنصرف الآن .

ـ ماذا ؟! .. الساعة لم تتجاوز التاسعة بعد !! .. هل ضايقتك كلمات (مختار) ؟

ـ أبداً .. ولكن ..

قاطعها (مختار) ، قائلا :

ـ أرجو المعذرة ، إذا كانت كلماتى قد أغضبتك ولكننى أميل إلى الصراحة بعض الشىء ، ولقد أردت أن أعبر لك عن إعجابى بجمالك و ..

احتجّت قائلة :

ـ أستاذ (مختار) .. أرجوك .

قاطعها مرة أخرى ، وتألقت فوق شفتيه ابتسامة

أخَّاذة ، وهو يمد يده لمصافحتها ، قائلا :

– (مختار حمدى عبد السلام) .

صافحته بحركة آلية ، على الرغم من احتجاجها ، ثم لم تلبث أن شعرت أن هذه المصافحة تتنافى ومشاعر الغضب ، المرتسمة على وجهها ، فأسرعت تسحب يدها من يده ، فى حين ظل هو على ابتسامته ، وهو يقول :

– إننا لم نكمل تعارفنا بعد .

بدت كالمخدرة تحت تأثير نظراته ، وهى تقول :

– (سهام شاكر أمين) .

ارتسمت الدهشة على وجهه ، وهو يهتف :

– ابنة (شاكر باشا أمين) ، صاحب مصانع (شاكر للنسيج) ؟!

– تقصد سابقاً .

تنحنحت (رجاء) ، وهى تقول :

– حسناً ، ما دمتما قد تعارفتما ، اسمحا لى بالاهتمام بباقى الضيوف .

حاولت (سهام) أن تستبقى صديقتها ، وكأنما تستنجد بها ، إلا أن (رجاء) ابتعدت فى سرعة ، ولم تلبث أن اختلطت بباقى المدعوِّين ، فارتبكت (سهام) وأخذت تنقل بصرها فى أنحاء المكان ، وهى تخشى أن تتلاقى نظراتها بنظرات (مختار) ، فيكشف ما يدور فى أعماقها من قلق واضطراب ، ولكنه بدا وكأنه يقرأ خفايا نفسها ، حينما قال فى صوت مختلف ، يمتلئ بالاحترام والتهذيب :

– إذا ما كان وقوفى هنا يسبب لك حرجاً ، فيمكننى أن أنصرف .

هزت كتفيها تتصنع اللا مبالاة ، وهى تقول :

– أبداً .. يمكنك أن تبقى .

ظلاَّ صامتين لحظات ، ثم شعر كل منهما فى آن واحد أنه ينبغى أن ينطق بشىء ما ، من باب المجاملة على الأقل ، وحينما فتح كل منهما فمه لينطق ، انطلقت الحروف الأولى من كلماتهما فى لحظة واحدة ، وتضاربت ، وامتزجت ، فتوقفا فى دهشة ، ثم انطلقا

يضحكان فى مرح ، وقال (مختار) فى لهجة مهذّبة :

ـ تفضّلى .

ـ بل تفضّل أنت .

ـ السيدات أولا .

ـ حسناً .. كنت أريد أن أسألك .. هل تعرف والدى؟

ـ فى الواقع أنا لم أتشرف بمعرفته شخصيّا، فقد قضيت معظم حياتى خارج البلاد ، ولكننى ولدت بالإسكندرية ، وقضيت فيها طفولتى وصباى ، وعندما كنت صغيراً كان اسم (شاكر باشا) من الأسماء المعروفة والمرموقة هنا ، باعتباره صاحب أكبر وأشهر مصانع النسيج ـ حينذاك ـ وكان مصنعه يضم المئات من العاملين ، وليست مجاملة حينما أقول إن أحدهم لم يذكره إلا بالخير ، كرجل كريم ، صاحب أفضال كثيرة ، أما نحن ـ الصغار ـ فقد كنا نطلق عليه اسماً آخر ، لا أعتقد أنه من اللائق ذكره الآن .

هتفت (سهام) فى فضول ، وقد جذبها ذلك الحديث البسيط ، غير المتكلف :

ـ بل اذكره لى أرجوك .

ـ هل تصرّين على ذلك ؟

ـ نعم .

ـ بلا غضب ؟

ـ أعدك بذلك .

ـ حسناً .. لقد كنا نطلق عليه اسم (شاكر أبو فتلة) .

نظرت إليه فى دهشة ، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة مرحة طويلة ، شاركها إياها (مختار) ، قبل أن يسألها فى اهتمام :

ـ بالمناسبة ، كيف حال والدك الآن ؟

ارتسم الأسى على وجهها ، وهى تقول :

ـ أنت تعلم أن الأوضاع ـ فى مصر ـ قد تغيرت كثيراً .. إنه لم يعد (شاكر باشا) ، الذى تتحدث عنه الإسكندرية كلها ـ كما قلت ـ لقد ذهبت الديون بثروتنا ومصانع النسيج ، ولم يعد لنا من حطام الدنيا سوى بيت صغير ، يدرّ دخلا معقولا .

ـ أنا آسف .

ـ لا تتأسف .. هكذا الدنيا .

أراد أن يطرح عليها سؤالا آخر ، إلا أن مجموعة من الحسناوات أحاطت به ، وكل منهن تحاول اجتذابه بحديثها ، ويبدو أن هذا قد دفع (سهام) لتستفيق من تأثيره عليها ، واسترساله فى الحديث معها ، وكم أدهشها ذلك الشعور بالغيرة ، الذى انتابها حينما أحاطت به الفتيات ، وكم كان عجبها لأنه نجح فى إغراقها فى دوامة من الأحاسيس المختلفة ، خلال فترة قصيرة ..

وفى هدوء تسللت (سهام) من جواره ، وغادرت الحفل دون أن يلمحها أحد ، وهى تظن فى أعماقها أنها النهاية ، وأنها قد غادرت حياته إلى الأبد ..



٢ ـ مشاعر خفية ..

صعقت (سهام) فى الصباح التالى ، حينما أجابت رنين جرس المنزل ، لتجد أمامها (مختار حمدى) بابتسامته الهادئة الأخاذة ..

ظلت جامدة لحظات ، وقد تجمدت الكلمات فى حلقها ، من فرط الدهشة ، حتى ابتدرها هو قائلا :

ـ ألن تدعينى للدخول ؟

ارتبكت وهى تغمغم :

ـ تفضّل .

تقدم إلى المنزل فى هدوء ، وهو يلقى على المكان نظرة فاحصة سريعة ، ثم التفت إلى وجهها الحائر المضطرب ، وهو يقول :

ـ لماذا انصرفت أمس ، دون أن تودّعينى ؟

ـ لقد كنت منشغلا .. ثم هل جئت إلى هنا لتسألنى عن ذلك بالذات ؟

ـ لا بالطبع .. ولكن هل سنظل واقفين أمام الباب هكذا ؟

قبل أن تجيبه ، سمعا صوتاً من داخل المنزل يقول :

– من يا (سهام) ؟

تضاعف ارتباكها واضطرابها ، وهى تقول :

– إنه .. إنه ..

سألها (مختار) ، هامساً :

– إنه (شاكر باشا) .. أليس كذلك ؟

– ماذا يمكننى أن أجيبه ؟ .. إنك تضعنى فى موقف حرج للغاية .

– قولى إننى (مختار حمدى) وإننى أرغب فى مقابلته .

تطلعت إلى وجهه فى دهشة ، وهى تقول :

– مقابلته ؟!

– نعم .. وماذا فى ذلك ؟

عاد والدها يسأل من جديد :

– من يا (سهام) ؟

لم تدر إلا وهى تقوده إلى حجرة والدها ، الذى استقبله فى دهشة ، وهو يتطلع إلى ابنته متسائلا ، ولكن (مختار) بادر بمصافحته ، قائلا :

– (مختار حمدى عبد السلام) .

صافحه (شاكر) باستعلاء واضح ، بأطراف أصابعه ، وهو يقول فى ترفع :

– هل سبق أن تعارفنا ؟

– لم أحظ بهذا الشرف فى الواقع ، ولكننى كنت أتوق إلى مقابلة سيادتك ، لكثرة ما سمعته من عظيم عملك .

كان من الواضح أن هذه الكلمات المنمقة قد صادفت هوى فى نفس الرجل ، الذى يصرّ – على الرغم من فقره – على التعامل بصفته (شاكر باشا) ، ذا المركز المالى والاجتماعى المرموق ، فقد انفرجت أساريره ، وهو يدعو (مختار) للجلوس ، قائلا :

– هل هناك خدمة يمكننى تقديمها لك ؟ .. قل لى أولا .. أتنتمى إلى إحدى العائلات الراقية العريقة ؟

– إننى أنتمى فى الواقع إلى عائلة بسيطة ، غير معروفة ، ولكننى هاجرت منذ طفولتى إلى (أوروبا) ، واستطعت مع الوقت تكوين ثروة لا بأس بها ،

وأصبحت واحداً من رجال الأعمال ، أى أننى ببساطة رجل عصامى ، نجح فى تكوين نفسه بنفسه.. أما من حيث الخدمة ، فأنا أحتاج إلى خدماتك بالفعل .

تطلع (شاكر) إلى ابنته ، التى ما تزال واقفة ، وقال :

– ألن يتناول ضيفنا مشروباً يا (سهام) ؟

– نعم .. نعم يا أبى .. على الفور .

أسرعت تحضر المشروب ، فى حين التفتَ (شاكر) إلى (مختار) ، وسأله فى اهتمام :

– ما نوع الخدمة التى تطلبها بالضبط ؟

– لقد راودتنى فكرة استثمار بعض أموالى هنا فى مصر ، وفى الإسكندرية بالذات ، ولقد هدانى تفكيرى إلى إنشاء مصنع للنسيج ، ضمن مجموعة مشروعات أخرى ، ولكن خبرتى فى هذا المجال محدودة ، ومن الصعب أن أخاطر بأموالى فى مشروع يعجزنى فهمه ، دون أن أستند إلى شريك قوى ، له الخبرة والسمعة اللازمتين فى هذا المجال ، حتى أضمن النجاح فيه ؛

لذا فقد فكرت فى سعادتك ، نظراً لخبرتك السابقة فى مثل هذا النوع من الأعمال .

– هل تعنى أنك تطلب منى إدارة مصنع النسيج ؟

– بل أكثر من ذلك .. إننى أريد منك أن تكون شريكاً كاملا لى فيه .. إننى أمتلك الأرض والمصنع ، والآلات يمكن استيرادها خلال خمسة عشر يوماً ، لو أننا توصلنا إلى اتفاق مناسب .

– ولكننى أخشى أننى لم أعد أمتلك القدرة على مثل هذا العمل ، فعمرى وصحتى ، ونكبات الدهر ، أنقصت قدرتى كثيراً ، كما أننى لم أعد ثَريّاً – مثلما قد تتصور – وليس لدىّ من المال ما يكفى لمشاركتك .

– لقد سمعت عنك الكثير فى طفولتى يا سيدى ، وأعرف جيداً مدى حبك وإخلاصك لعملك ، فلم تكن من ذلك النوع من الباشوات ، الذين يديرون أعمالهم عن طريق الآخرين ، ويهتمون بجنى الأرباح فقط ، بل كنت تسهر الليالى فى مصنعك ، وتشارك عمالك كل

صغيرة وكبيرة ، ولعل ذلك سرّ ما حققت من أرباح طائلة ، وشهرة مدوّية فى عالم النسيج .

قال (شاكر) فى أسى :

– ولكننى أضعت كل ذلك على موائد القمار ، وفى مشروعات أخرى خاسرة ، التهمت ثروتى كلها .

– يمكنك أن تستعيد كل ذلك مرة أخرى ، فرجل له مثل صفاتك لا يهزمه الدهر ، أو ينتقص من قدراته أبداً ، ثم إننى لا أطالبك برأس مال مساو لى ، يمكنك أن تقدم أى مبلغ يمنحك صفة الشريك .

– إننى لا أقبل أن أكون مجرد شريك صغير ، بعد أن كنت صاحب مصانع كبيرة .

– ومن قال إنك ستكون شريكاً صغيراً ؟.. لقد قلت إننى أريدك شريكاً كاملا ، يتحمل مسئولية العمل والإنتاج .

– وكيف أكون كذلك ، ما دام رأس مالى سيكون محدوداً ؟

– سأقرضك المبلغ الذى يجعلك شريكاً بالنصف

فى المصنع ، مقابل إيصالات ، يتم سدادها من نصف أرباحك مستقبلا .

– أستاذ (مختار) .. لماذا تفعل كل ذلك لى ؟

– لأننى مؤمن بأننا سننجح معاً ، ولأننى رجل عملى ، وأرى أن مشاركتك لى ستعنى أننى أبدأ عملى باسم له شهرته وسمعته فى عالم النسيج ، وهذا نوع من الدعاية يساوى الكثير .

– حسناً .. دعنى أفكر .

قدم إليه (مختار) بطاقته ، وهو يقول :

– كما يحلو لك ، ويمكنك أن تحادثنى فى ذلك الرقم ، المدوّن ببطاقتى ، إذا ما وافقت على عرضى ، على أن يتم ذلك خلال ثلاثة أيام على الأكثر ، حتى يمكننى تدبير أمورى .

عادت (سهام) فى هذه اللحظة ، وهى تدفع عربة صغيرة ، تحمل بعض المرطبات ، فقال والدها ، وهو ينهض من مقعده :

– قدمى واجبات الضيافة لضيفنا يا (سهام) ،

حتى أطمئن على والدتك ، فأنا لم أذهب إلى حجرتها بعد ، وأنت تعلمين كم يحزنها هذا .

– تفضَّل يا أبى .

التفت الأب إلى (مختار) ، قائلا :

– اسمح لى ببضع دقائق ، وسأعود إليك على الفور .

– على الرحب والسعة يا (شاكر باشا) .

شعر (شاكر) بالغبطة والسعادة ، وهو يخاطب بذلك اللقب المحبب إلى نفسه ، ومن بين شفتى ذلك المليونير ، الذى أعاد إليه روحه المعنوية المرتفعة ، بعد أن حرم منها طويلا ، وشعر وهو ينصرف أن مجده القديم قد صار قاب قوسين أو أدنى ، فى حين التفت (مختار) – فور انصرافه – إلى (سهام) ، وهمس :

– لقد أصبحت أنا ووالدك صديقين .

ابتسمت (سهام) ، وهى تقول :

– بهذه السرعة ؟! .. إن أبى رجل تصعب مصادقته .

تأملها فى تمعن ، وهو يقول :

– وهل ينطبق ذلك عليك أيضاً ؟

تجاهلت تلميحه ، وقالت :

– بالمناسبة .. فى أى أمر كنتما تتناقشان ؟

– لقد عرضت عليه مشاركتى فى مصنع للنسيج .

هتفت فى دهشة :

– مشاركتك ؟!. ولكننا لانملك مايكفى لذلك !!

– لا عليك ، لقد قدمت لوالدك عرضاً مغرياً ، ولكن أجيبينى أولا ، لِمَ كنت مرتبكة مضطربة هكذا حينما حضرت إلى هنا ، وسألك والدك عنى ؟

– هذا طبيعى .. لم أكن أتصور أنك أتيت لتناقشه فى أمور عملية ، ولم يكن من المنطق أن أقدمك إليه بصفتك شخصًا تعرفته فى حفل عيد ميلاد .

– عجباً !! .. كنت أظن أن والدك – كباشا سابق – أكثر تحرراً من ذلك ، وأن فتاة مثلك ، اعتادت ارتياد الحفلات والسهرات ، لديها من الحرية ما يكفى لأن تقدمنى لأبيها كصديق جاء لزيارتها مثلا .

– أنت مخطئ .. إن هذه الصورة ، التى رسمتها

عنا فى خيالك خاطئة تماماً ، فحتى حينما كنا أثرياء ، نرتاد المجتمعات والحفلات ، كانت لى حدود ألتزم بها ، وأجبر الآخرين على التزامها .. صحيح أن والدى لم يحرمنى حريتى قط ، ولكننى لم أتجاوز المفاهيم الأخلاقية أيضاً .

— اغفرى لى إذا كنت قد أسأت إليك بقولى ، واسمحى لى فى الوقت ذاته أن أؤكد إعجابى بشخصيتك .

عاد (شاكر) فى تلك اللحظة بالذات ، وكرّر ترحابه بـ (مختار) ، الذى نهض يصافحه ، قائلا :

— هل تسمح لى بالانصراف ؟

صافحه (شاكر) فى حرارة ، وهو يقول :

— شكراً لعرضك يا ولدى .. سأمنحك الجواب فى أقرب فرصة .

— أتمنى أن يكون لى شرف مشاركتك هذا العمل يا سيدى .

واستدار (مختار) يصافح (سهام) ، وشدّ على يدها فى حنان ، قائلا :

— لقد أسعدتنى مقابلتك يا آنسة (سهام) ، وأرجو أن أتعرّف السيدة والدتك فى القريب العاجل ، وتمنياتى لها بالشفاء .

شعرت (سهام) برعشة تسرى فى جسدها ، مع مصافحته الحانية ، وعادت الحيرة تملأ نفسها ، إزاء مشاعرها الخفية المبهمة نحوه ..

وكان هناك شىء واحد مؤكد فى تلك المشاعر .. أن (مختار) يجذبها إليه فى قوة ..

* * *



٣ – قرار حاسم ..

استقبلت (سهام) صديقتها (رجاء) فى ترحاب، عندما حضرت لزيارتها فى منزلها وابتدرتها (رجاء) قائلة :

– لقد كنت أنوى فى الحقيقة مخاصمتك ، وقطع علاقتى بك ، بسبب انصرافك المفاجئ من حفل عيد ميلادى ، ودون وداع ، ولكن ما حيلتى وأنا أعجز عن مخاصمتك ، وأشعر دوماً بالاشتياق لك ؟

ضحكت (سهام) ، قائلة :

– لقد اضطررت لذلك، فأنا أعلم قوة إلحاحك ، وأنك لن توافقى على انصرافى فى سهولة ، كما أننى أعتمد على قوة علاقتى بك فى الحقيقة .

ضحكت (رجاء) بدورها ، وهى تقول :

– لا تعتمدى على ذلك دائماً ، فربما أمكننى يوماً مقاومة هذه العلاقة .

ثم استطردت فى همس :

– هل عمى (شاكر) هنا ؟

أجابتها (سهام) فى همس مماثل :

– نعم .. إنه فى حجرة مكتبه ، يعيد ترتيب وتنسيق صوره القديمة للمرة الألف .

– حسناً .. دعينا نتسلل فى هدوء إذن ، إلى حجرة والدتك ؛ كى أطمئن عليها ، قبل أن يكتشف وجودى هنا ، فيصرّ على مشاهدتى للصور للمرة المائة، شارحاً ما تحمله كل منها من ذكريات .

كتمت (سهام) ضحكتها ، وهى تقود صديقتها إلى حجرة أمها ، التى استقبلتهما فى ترحاب ، وقالت (رجاء) :

– كيف حالك يا أماه ؟

– نحمد الله يا ابنتى .. يؤسفنى عدم قدرتى على حضور عيد ميلادك ، ولكنك تعرفين أننى لا أقوى على مغادرة فراش المرض .

ترقرقت دمعة حزينة فى عينى (سهام) ، وهى تستمع إلى أمها وتتأملها ، فأسرعت (رجاء) تقول :

– ستشفين قريباً – بإذن الله – يا أماه ، ولن تجدى وقتها عذراً .

أطلت نظرة حزينة من عينى الأم ، وهى تقول :

– لا أظن أننى سأفارق هذا الفراش ، إلا للقبر .

احتضنتها (سهام) فى حنان ، وهى تهتف :

– لا تقولى ذلك يا أماه .. أستحلفك بالله ألا ترددى هذا القول .

دخل الأب إلى الحجرة فى هذه اللحظة ، وقال :

– أهى أنت يا (رجاء) ؟ .. مرحباً بك .

– مرحباً بك يا عماه .

التفت إلى زوجته ، قائلا :

– هل تناولت دواءك يا (نازك) ؟

أجابته زوجته ، دون أن يفارق الحزن عينيها :

– وهل أفعل سوى ذلك منذ خمس سنوات ؟

تظاهر الأب بعدم فهم تعليقها ، وهو يلتفت إلى (رجاء) ، قائلا :

– كيف حال عمك ؟

– بخير حال يا عماه ، وهو دائم السؤال عنك وعن أخبارك .

ثم استدركت قائلة :

– هل تسمح لى باصطحاب (سهام) إلى النادى بعض الوقت يا عماه .

تطلعت إليها (سهام) فى دهشة ، فهى لم تخبرها عن ذلك ، فضلا عن أنها تعلم جيداً أن (سهام) لا تميل إلى الذهاب إلى النادى ، الذى لا يضم سوى بقايا المجتمع الأرستقراطى القديم ، وتلك الطبقة الثرية الجديدة ، حيث لا تدور الأحاديث إلا حول الماضى ، والأمور التافهة ، وقبل أن تبدى اعتراضاً ، فوجئت بموافقة والدها السريعة ، فقد كان الأب والأم يحملان شعوراً بالذنب تجاه ابنتهما ، التى حرمت نفسها مباهج الحياة ، وكرست وقتها وحياتها لخدمتهما ورعايتهما ، على الرغم من أنها لم تشك أو تتبرم أبداً ، وتحاول التظاهر دوماً بالرضا والسعادة ، إلا أنهما كانا يشعران بما يعتمل فى نفسها ، وتحاول إخفاءه ..

كانا يعرفان أنها – ككل الفتيات فى مثل عمرها – تحتاج إلى الانطلاق والمرح ، خاصة وقد ذاقت طعم الرفاهية والسعادة فى مقتبل عمرها ، قبل أن تضطر إلى أن تحيا تلك الحياة البسيطة المتقشفة ، التى تتحمل فيها مسئولية أب عجوز ، وأم مريضة ..

كانت مسئولية تفوق عمرها ، وسجن بذنب أب مقامر ، لم يعمل حساباً لمستقبل ابنته وزوجته ، فتسبب فى عذاب الأولى ، وانهيار الثانية ومرضها .

أب لم يبق له سوى إحساس دائم بالذنب ، يطل من عينيه دوماً ، حينما يتطلّع إلى زوجته أو ابنته ..

والأم أيضاً كانت تحمل فى أعماقها شعوراً بالذنب تجاه ابنتها ، ولكن لسبب مختلف ، ليست مسئولة عنه ، وهو مرضها ، الذى يقيّد حركة ابنتها ، ويجعل منها مجرد ممرضة ، لا همّ لها إلا العناية بأمها ، والسهر عليها ، وعلى رعايتها ..

كان الاثنان يعلمان مدى حب ابنتهما لهما ، وإخلاصها وتفانيها فى رعايتهما ؛ لذا فقد كانا يلحّان

عليها دوماً أن تمارس حياتها بصورة طبيعية ، دون التقيد بمسئوليتهما ، التى تثقل كاهلها ، وتتجاوز عمرها ، وهما يأملان أن تطيعهما ، لتحررهما من ذلك الإحساس الثقيل بالذنب تجاهها ، ولكنها كانت ترفض دوماً أن تتخلى عن مسئوليتها ، وتحاول إقناعهما بأنها تشعر بالسعادة فى وجودها إلى جوارهما ، ورعايتهما ..

وقالت (رجاء) مبتسمة :

– هيّا يا (سهام) .. لقد وافق عمى .

جلس (شاكر) إلى جوار زوجته ، وأحاط كتفها بذراعه ، وهو يقول فى حنان :

– لا عليك بموافقتى ، سأمنحك تصريحاً دائماً ، المهم أن تقضى (سهام) وقتاً طيباً ، بدلا من هذه الوحدة التى تفرضها على نفسها .

ابتسمت (سهام) ، وهى تقول :

– وهل أشعر بالوحدة فى وجودكما ؟

أجابتها أمها :

– إنك تكلفين نفسك أكثر من طاقتها يا ابنتى ،

وسعادتنا تتوافر فى مرحك وبهجتك وسعادتك .

وافتعل (شاكر) ضحكة مرحة ، وهو يقول :

ـ يمكننى أنا وأملك أن نرعى بعضنا البعض دونك يا (سهام) .

اتسعت ابتسامة (سهام) ، وهى تقول فى مرح :

ـ إذن فقد استغنيتما عن خدماتى .

لكزتها (رجاء) فى ذراعها ، قائلة :

ـ هيَّا بنا .. لا تضيعى الوقت .

ولكن (شاكر) أسرع يقول ، وكأنه قد تذكر شيئاً ما :

ـ بالمناسبة يا (رجاء) .. لقد أخبرتنى (سهام) أنكم تعرفون المليونير (مختار حمدى)، فهل هذا صحيح؟

ـ نعم .. إنه على علاقة وثيقة بعمى (حسين) .. علاقة عمل .

ـ وما رأيك فيه ؟

ـ فى من ؟

ـ (مختار حمدى) طبعاً .

ـ كل ما أعلمه عنه هو أنه شاب ثرى ، يسعى لإقامة عدد من المشروعات الجيدة .

ثم التفتت إلى (سهام) فى قلق ، وكأنها تخشى أن تكون قد أخبرت والدها عن علاقات (مختار) العاطفية المتعددة ، فى حين عاد (شاكر) يقول :

ـ لقد حضر إلى منزلى ، ليعرض على مشاركته فى مصنع نسيج بالإسكندرية ، على الرغم من أننى لم أتعرّفه من قبل .

ـ لعله سمع عن مصانع النسيج التى كنت تملكها وجودة إنتاجها .

ـ هل تعتقدين أنه سبب كاف لمشاركتى ، دون أن أملك رأس المال اللازم ؟

هزت (رجاء) كتفيها ، قائلة :

ـ فى الواقع يا عمى ، لست أفهم الكثير فيما يتعلق بهذه الأمور .

تطلّـع (شاكر) إلى زوجته ، وهو يحيط كتفها

بذراعه ، وكأنه يستطلع رأيها ، ولكنها لاذت بالصمت فعاد يلتفت إلى ابنته ، قائلا :

– عموماً .. لقد وافقت على عرضه .

سألته (سهام) فى اهتمام :

– ولكنك لا تملك رأس المال يا أبى ؟

– سأبيع المنزل القديم ، الذى أملكه .

انتفضت الأم ، وهى تقول :

– تبيع المنزل القديم ؟! .. ولكنه مورد رزقنا الوحيد .

أشاح بوجهه، وكأنه يخشى التراجع أمام اعتراض زوجته ، وهو يغمغم :

– وهل تعدّين هذه الجنيهات القليلة مورداً ؟

– تكفينا شر الفاقة على الأقل .

– ذلك المشروع الجديد سيعيد إلينا ثراءنا ، هل ترضيك أحوالنا ؟ .. أليس من حقنا أن نمنح ابنتنا أماناً ومستقبلا باهراً ؟

– ولكنها مخاطرة .

– كل المشروعات الجديدة تنطوى على المخاطرة ، ولكن لا تنسى أننى لا أقتحم مجالا جديداً ، لقد كنت أمتلك عدة مصانع ، وليس مصنعاً واحداً هكذا .

حدجته الأم بنظرة لوم ، وهى تقول :

– وهل نسيت كيف أضعت هذه المصانع ؟

نهض واقفاً ، وهو لا يزال يتحاشى نظرات زوجته ، ووضع يده على كتف ابنته ، قائلا :

– اذهبى مع صديقتك يا (سهام) ، ولا تتأخرى أكثر من ذلك .

– إلى اللقاء يا أبى .

– إلى اللقاء يا ابنتى .. استمتعى بوقتك .

وذهبت (سهام) ..

ذهبت إلى موعد مع القدر ..



٤ ـ لقاء مدبر ..

التقطت (سهام) كوب العصير فى النادى، وعيناها تتابعان مباراة التنس، التى تدور بين صديقتها (رجاء)، وزميلة أخرى ، واستغرقت فى متابعة المباراة ، حتى فوجئت بصوت من خلفها يقول :

ـ آنسة (سهام) ! ! .. يا لها من مصادفة سارة ! !

التفتت (سهام) إلى صاحب الصوت ، وهى تهتف فى دهشة :

ـ أستا ... أستاذ (مختار) ؟ !

ـ (مختار) فقط .. ألم نصبح أصدقاء بعد ؟

كان يبتسم نفس الابتسامة العذبة الغامضة الجذّابة ، وانتابتها نفس المشاعر المتضاربة ، التى تجمع ما بين الاهتمام والاضطراب والحيرة ، حتى أنها كانت تلهث فى شدة ، وهى تقول :

ـ لم أكن أعلم أنك واحد من رواد النادى !

ـ إننى أحد أعضائه منذ عام كامل ، ولكن

أعمالى ومسئولياتى تحول دون حضورى إلى هنا بانتظام. إنها المرة الثالثة التى أحضر فيها إلى هنا ، وكان من حسن حظى أن التقيت بك .

سيطرت على أنفاسها اللاهثة ، وإن لم يفارقها ذلك الإحساس المضطرب الغامض ، حتى أنها لم تجد ماتتفوّه به ، فقطع هو ذلك الصمت الحائر ، قائلا :

ـ ألن تدعينى للجلوس ؟

ـ بالطبع .. تفضّل .

جلس الإثنان متقابلين ، وحاولت (سهام) أن تجد موضوعاً للحديث ، فلما أعجزها ذلك أشاحت بوجهها ، وتظاهرت بمتابعة مباراة التنس ، ولكن ذهنها المضطرب منعها من رؤية ما يدور أمامها ، فقد كان إحساسها بوجوده إلى جوارها يطغى على كل مشاعرها الأخرى ، وعلى الرغم من أن عينيها لم تفارقا ملعب التنس، إلا أنها شعرت به يرمقها بعينين نافذتين، فرنت إليه بنظرة خاطفة ، جعلتها تزداد ارتباكاً حينما التقت نظراتهما ، وتأكد شعورها ، إذ كانت عيناه

تنفذان إلى أعماقها ، وهو يتأملها فى صمت مخيف ، وجرأة عجيبة ..

وحوّلت بصرها عنه مرة أخرى ، وهى تتساءل فى دهشة عن سر تلك المشاعر المختلطة ، التى تنتابها كلما التقت به ..

كانت ثالث مرة يلتقيان فيها ، ولقد تحدثا معاً ، وراق لها حديثه ، وبعث فى أعماقها ألفة محببة ، كان من المفروض أن تنزع عنها ذلك القلق والاضطراب والحيرة ، التى تتجدد فى كل مرة يلتقيان فيها ..

وهى لا تنكر أنها – فى المرة الثانية – كانت تشعر بانجذاب شديد نحوه ، وهذا لايعنى إلا تفسيراً واحداً ، هو أنها أعجبت به ، وربما كانت مشاعرها المبهمة تحمل ما هو أكثر من الإعجاب ، وهى ليست خجولة بطبعها ، وإنما تعلم أنها تملك قوة الأعصاب ولباقة الحديث ، فلمَ هذا القلق والخوف والاضطراب والخجل ، التى تعتريها ، وتزيد من قوة وسرعة نبضات قلبها ، كلما رأت (مختار) ، أو شعرت

بنظراته النفاذة ، وابتسامته الغامضة الجذابة ؟

إنه إحساس لم تعهده فى نفسها ، إزاء أى مخلوق آخر سواه .

وقطع (مختار) هذا القلق فى أعماق نفسها وهو يقول :

– إننى أشعر بالذنب ، ولابد أن أعترف لك بشىء ما .

تطلعت إليه فى دهشة ، قائلة :

– ما هو ؟

– إننا لم نلتق هنا مصادفة .

تضاعفت الدهشة على وجهها ، وهو يستطرد :

– فى الحقيقة أنا الذى طلبت من (رجاء) أن تأتى بك إلى هنا ، بل ألححت عليها فى ذلك ؛ لأننى كنت أرغب فى رؤيتك بأية وسيلة .

لم تدر (سهام) ماذا تفعل إزاء ذلك الاعتراف !! هل تغضب أو تعترض ، أو تقف لتنسحب ، وتغادر النادى أو تحاول أن تعرف مايريده منها أولا ؟ وما السبب الذى دعاه إلى اللجوء إلى هذه الحيلة ؟

ولم يمنحها هو فرصة التفكير ، واتخاذ القرار ، وهو يبادرها قائلا :

– هل وافق والدك على عرضى ؟

فى تلك اللحظة امتلأ قلبها بإحساس واحد محدود ، وهو الغضب الجارف والضيق ، فهى لم تكن تتوقع هذا السؤال العجيب على الإطلاق .. لقد كانت تظن أنه أراد تدبير هذا اللقاء لاهتمامه بها هى ، وليس للسؤال عن موقف والدها من عرضه !! ..

لقد شعرت فى هذه اللحظة أن سؤاله قد امتهن أنوثتها ، وزعزع ثقتها بنفسها ، فقالت بلهجة عنيفة غاضبة :

– أستاذ (مختار) .. لم تكن بك حاجة لهذه الوسائل الملتوية ، لمعرفة قرار والدى ، وكان ينبغى أن تعلم أنه لا شأن لى بهذا الأمر ، ويمكنك توجيه السؤال إلى والدى مباشرة .. والآن هل تسمح لى بالانصراف ؟

عادت الابتسامة تعلو وجهه مرة أخرى ، وإن خيل إليها أنها تنطوى هذه المرة على بعض السخرية ،

مما زاد من حنقها ، فى حين قال هو فى نبرات هادئة :

– هذا السؤال ليس الغرض الرئيسى من مقابلتى لك بالطبع .. إنه مجرد وسيلة لفتح باب الحديث معك .

ثم استطرد فى مرح :

– ولم أكن أعرف فى الواقع أنك شديدة العصبية هكذا .

ردتها كلماته إلى صوابها ، وأدركت أنها لم تكن يوماً عنيفة عصبية إلى هذا الحد ، وأن هذا الانفعال جاء منافياً لطبيعتها ، ولم تلحظ اقتراب صديقتها (رجاء) منهما ، بعد أن أنهت مباراة التنس ، حتى سمعتها تقول فى مرح :

– أهلا (مختار) .. أرى أنكما قد تقابلتما .

هبّت (سهام) من مقعدها فى حِدّة ، وجذبت (رجاء) من ذراعها ، وانتحت بها جانباً ، وهى تقول فى غضب :

– لِمَ فعلت ذلك ؟

– فعلت ماذا ؟

– كيف سمحت لنفسك بتدبير لقاء بينى وبين (مختار) دون علمى؟! .. إنك صديقتى الوحيدة ، التى أوليها كل ثقتى ، فكيف تفعلين بى ذلك ؟

– لأننى صديقتك الوحيـدة ، ولأننى أحبـك دبرت ذلك اللقاء ، بعد إلحاح شديد من (مختار) ، ولقد أخبرتك من قبل أنه شاب ثرى وسيم ، تتمناه أية فتاة فى مصر ، وهو معجب بك ، يتحدث عنك بكل تقدير واحترام ، وعن أسرتك كذلك ، وهذه مقدمة طيبة لفكرة الزواج منك ، والتى أوقن أنها تدور فى رأسه ، ومن واجبى نحوك أن أؤيد فكرته ، وأشجعها حتى يقدم على تنفيذها وتحويلها إلى موقف عملى .. هل عرفت الآن لم خدعتك ؟ .. هل كنت تتصورين منى أن أرفض مطلب (مختار) ، وأخبره أنك إنسانة غبية معقدة ، ترفضين مقابلته ، ومنحه فرصة معرفتك ، حتى يزداد تقاربكما وتفاهمكما ؟ ..

أليس هذا ما كان سيحدث ، لو أننى أخبرتك

أنك ستلتقين بـ (مختار حمدى) فى النادى ، وأنه يريد التحدث إليك ؟

نهض (مختار) فى هذه اللحظة ، وتقدم منهما فى خطوات واثقة ، قائلا :

– يؤسفنى أن أقطع حديثكما ، ولكننى أعرف مضمـونه – حسبما أظن – وأريد أن أؤكـد للآنسة (سهام) ، أنه إذا كان هناك ثمة لوم أو عتاب ، فأنا الذى ينبغى أن يستمع إليه ، ويتحمله ، لا (رجاء) ، فأنا الذى ألححت عليها لتدبير هذا اللقاء ؛ لأننى أرغب فى التحدث إليك يا (سهام) ، ولقد وافقت تحت ضغط إلحاحى ، ولأنها تثق فى أخلاقى أيضاً .

اغتصبت (رجاء) ضحكة مرحة ، وهى تقول فى توتر :

– هل سمعت ؟ .. والآن هاهو ذا (مختار) ، مستعد لتلقّى كل اللوم والتقريع ، وسأذهب أنا لأبدل ملابسى ، وإذا ما بقى بعض اللوم بعد ذلك ، فسأحتمله فى وقت لاحق .

ثم أسرعت تنصرف إلى حجرة تغيير الملابس ، وهى تغمز لـ (سهام) بطرف عينيها ، وتبتسم ابتسامة خبيثة ، وتركتها وحدها حائرة أمام (مختار) ، لاتدرى ماذا تقول ، وماذا تفعل . .

ووجدت نفسها تستسلم لدعوته ، حينما أشار إليها بالجلوس مرة أخرى . .

وأحست بأنها تستسلم للقدر . .

القدر المحتم . .

* * *



٥ ـ اعتراف متبادل . .

سلّط (مختار) نظراته العميقة النفّاذة على وجه (سهام) ، وقال فى صوت عميق ، بدا لها وكأنه يأتى من بئر سحيقة :

ـ (سهام) .. ينبغى أن تعلمى أننى لم أصبح مليونيراً بين ليلة وضحاها .. لقد خضت رحلة كفاح طويلة ، ذقت خلالها طعم الغربة والحرمان ، وقاسيت ألواناً من العذاب يصعب على المرء تخيلها ، ولكننى ، ومنذ كنت فى الثالثة عشرة من عمرى ،أضع نصب عينى هدفاً واضحاً ، لم أحد عنه لحظة واحدة ، وهذا الهدف هو الذى جعلنى أحتمل كل الصعوبات ، ومتاعب الحياة فى بلاد لا ترحم من يتكاسل فيها لحظة واحدة ، وأخوض تجارب فاقت سنوات عمرى بمراحل شتى .. كان هدفى دائماً أن أصبح مليونيراً ..

تطلعت إليه (سهام) فى اهتمام ، وأدهشها ذلك الإصرار الذى ارتسم فى ملامحه ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، فقالت :

– أتحب المال إلى هذا الحد ؟!

شرد ببصره ، وهو يقول :

– من الغباء أن يحب الإنسان المال كهدف ، ولكنه يوفر من القدرات والإمكانات ما يمنح صاحبه القوة ، والقدرة على الصمود أمام الآخرين والمساواة بهم ، أو التفوق عليهم ، وهـذا ما يجعل للمال أهميته الكبرى ، وبقدر ما تتضاعف ثروة الإنسان ، تتضاعف معها قدرته على تحقيق أهدافه .

هزت (سهام) كتفيها ، وهى تقول فى تعجب :

– ولكن هناك أهداف أكثر أهمية من المـال ، وأكثر قيمة منه .

ابتسم (مختار) ، والتفت إليها وكأنما أفاق من شروده ، قائلا :

– الحب مثلا ؟!

خفضت عينيها ، وتضرَّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول :

– مثـلا .. إنه يأتى ضمن أشـياء عـديدة ،

كالمبادئ والمثل وإسعاد الآخرين ، وهذه الأشياء قد تكون بالنسبة لبعض البشر أكثر قيمة من الملايين التى تجمعها .

مسَّت أنامله يدها ، فارتجفت أطرافها ، وبدا لها أنها تبذل جهداً كبيراً لسحب يدها بعيداً عن أصابعه المغناطيسية ، وهو يقول فى صوت هامس دافئ :

– إننى أزداد إعجاباً بك كلما توغلت فى معرفتك يا (سهام) .. هل ورثت تلك المثاليات عن والديك ؟

– المثاليات لا تورث .. إنها تنبع من الذات .

– وهل كانت تحتل ذاتك ، حينما كنت ابنة (باشا) من وجهاء المجتمع ، وتعيشين داخل قصر يمتلئ بالخدم والحشم ؟

شعرت أن نبراته الدافئة تمتزج ببعض السخرية ، فتطلَّعت إليه فى تحدٍّ ، وهى تقول :

– يبدو أنك تحمل اعتقاداً جازماً ، بأن الإنسان يزداد ابتعاداً عن القيم والمبادئ ، كلما تضاعف ثراؤه ، ومركزه الاجتماعى ، فهل ينطبق ذلك عليك ؟

ضحك قائلا :

— أولا : أنا لم أقل هذا ، فلا توجد علاقة بين الثراء والمبادئ ، وثانياً : أنا لم أزعم أننى مثالى ، على الرغم من أننى لم أجمع قرشاً واحداً من ثروتى ، من مصدر غير قانونى أو غير أخلاقى ، ولكنى أعترف بأن اهتمامى انحصر دائماً فى تنمية ثروتى ومضاعفتها ، بكل الوسائل المشروعة فقط ، دون أن ألتفت إلى ما تتحدثين عنه من المبادئ والمثاليات ، وإسعاد الآخرين ، والبحث عن الحب ، إلى أن رأيتك .

اضطربت حواسها لسماع هذه العبارة ، وشعرت أنها عاجزة عن سحب كفها من بين أصابعه هذه المرة ، وهو يستطرد :

— (سهام) .. لقد كشفت منذ التقيت بك فقط ، أن الثروة لا تعنى شيئاً لصاحبها ، حينما يكون وحيداً ، محروماً من الحب ، أو من قلب مخلص يبادله مشاعره ، ويشاركه عواطفه .. بل يشاركه كل شىء .. ثروته .. همومه .. سعادته .

وازداد ضغط أنامله على كفها ، وهو يردف :

— لقد كشفت متأخراً أن الحرمان من الحب هو الفقر الحقيق .. كشفت ذلك عندما رأيتك لأول مرة ، وفجّر وجهك الجميل فى داخلى قيمة أخرى ، غير الحرص على المال ، وتنمية الثروة .. شعرت أننى أفقد إحساسى بكل مَنْ حولى ، وما حولى .. نسيت ثروتى وطموحى ، ومشاريعى التى تعد مثل هذه الحفلات وسيلة من وسائل تحقيقها .. وأدهشنى ذلك الإحساس الجارف ، فقد رأيت الكثيرات ، وعرفت الكثيرات ، ولكن وجهك وحده كان يدفع قلبى للحب .. قد تظنين أنه من السذاجة أن يتحدث شخص مثلى عن الحب من أول نظرة ، ولكن هذا ما حدث معى حينما رأيتك ، وحينما تحدثت إليك فى حفل عيد ميلاد (رجاء) ، وفى منزلك .. لقد شعرت — حينذاك — أن هذا الشعور لم يأت من فراغ ، وأنك الإنسانة التى تمناها قلبى ، وظل ينتظرها لسنوات ، ولم يستيقظ من غفوته إلا حينما رأى الصورة المطبوعة داخله تتحول إلى حقيقة .. ولحظتها أدركت

أننى أحتاج إليك بجوارى .. أحتاج إلى حبك
ومشاركتك ، وأننى سأفقد كل شىء ، ولن تكون
لثروتى قيمة ، لو أننى فقدتك .

كانت (سهام) تنصت لكلماته الدافئة الرقيقة ،
وبدنها كله يرتجف ويختلج .

لقد أدركت الآن ، وهى تستمع إليه ، حقيقة
ذلك الشعور المبهم ، الذى يحمله قلبها له ..

لقد عبَّر عن شعوره نحوها ، وكأنه ينقل إليها
حقيقة مشاعرها نحوه ..

إذن فهذا هو سرُّ اضطرابها وحيرتها حينما وقع عليه
بصرها لأول مرة ، وسر مشاعرها المتضاربة كلما التقيا ..

إنه الحب ..

الحب الذى تعرفه الآن لأول مرة فى حياتها ..

وشعرت بفرحة غامرة تتملكها ، وإن لم يختف
ارتباكها وحيرتها وخجلها ، وإن تحول كل هذا إلى
جزء من نبض حب يولد لأول مرة ، وخجل لا يعرفه
إلا المحبُّون ..

وفجأة قطع (مختار) خيط مشاعرها وأحاسيسها
المختلفة ، حينما قال فى اهتمام :

ـ (سهام) .. هل تقبلين الزواج منى ؟

اختنقت الكلمات فى حلقها ، ولم تدر بم تجيب
سؤاله ، وحدَّقت فى وجهه لحظة فى دهشة ، قبل أن
تغمغم فى حياء :

ـ لست أدرى ماذا أقول .. إنك تربكنى
بمفاجآتك ، ولا تدع لى فرصة التفكير .

ـ العواطف لا تحتاج إلى الكثير من التفكير
يا (سهام) .. فقط اتبعى إحساسك .. ولو أنه يحمل
جزءاً من مشاعرى نحوك ، سأكون مطمئناً للجواب .

خامرتها رغبة قوية فى أن تهتف معلنة حقيقة
مشاعرها نحوه ، ومصرحة بعواطفها تجاهه ، إلا أن
صرخة من عقلها جعلتها تحجم فجأة ، ليس بدافع
الدلال أو الخجل ، وإنما بدافع الخوف ..

خوف مبهم لم تدر كنهه ..

ووجدت نفسها تغمغم فى ارتباك :

- هل تغضبك صراحتى ،لوأخبرتك أن مشاعرى نحوك متضاربة ؟

- كيف ؟

- إنك تبدو لى الآن إنساناً حساساً رقيقاً ، يمتلىء بالحب والعاطفة ، ولكنك كنت منذ لحظات إنساناً آخر ، لا يعرف فى حياته كلها سوى الثروة والمال ، وهذا ما يخيفنى منك ، فالإنسان على هذه الصورة يصعب أن تكون عواطفه ومشاعره صادقة على هذا النحو الذى تبديه .

- ربما كان هذا سبب حاجتى لوجودك إلى جوارى ، حتى تتوازن المشاعر فى حياتى ، وتستعيد نفسى بشريتها ، بعد أن انهمكت طويلا فى جمع الثروة والمال .

تراقصت أهدابها ، وهى تطرق برأسها أرضاً ، وتقول :

- هل لى أن أسألك سؤالا آخر ؟

- تفضّل .

- هل المشروع الذى عرضته على أبى جدّىّ، أم أنه مجرد محاولة للتقرب منى ؟

- الاثنان معاً .. فهذا المشروع واحد من طموحاتى القديمة ، كما أنه كان فى الوقت ذاته محاولة للتقرب منك ومن أسرتك ، ولكننى أريدك أن تعلمى جيداً أنه لا يمثل أية وسيلة للضغط ، فلا علاقة له بقرارك - أيّا كان - فقد أكون عمليّا ماديّا - كما تتصورين - ولكننى أدرك تماماً أن قرار الحب والعواطف ينبع من القلب وحده .

ارتجفت أهدابها ، وأطرقت برأسها مرة أخرى ، ولكنه رفع وجهها إليه فى رفق ، وهو يقول :

- مازلت أنتظر جوابك .

ابتسمت فى حياء ، وأسبلت عينيها فى خجل ، وأومأت برأسها علامة الموافقة .



٦ ـ لحظة خوف ..

احتشد جمع غفير من المدعوين فى وداع العروسين على باب الفندق ، وهما يتأهبان للانطلاق بسيارتهما إلى عش الزوجية السعيد ، وشدّ الأب على يد (مختار) مصافحاً ، وهو يقول :

ـ ينبغى أن تعلم أنك أخذت أعز ما أملك ، فـ (سهام) هى ثروتى الحقيقية ، وأريد منك أن تحافظ عليها ، وعلى مشاعرها .

ابتسم (مختار) ، قائلا :

ـ اطمئن يا عمى .. سأضعها فى عينى .

احتضنت (سهام) والدتها ، التى تجلس على مقعد متحرك ، واختلطت دموع فرحهما ، وأسفهما للفراق ، ثم ذهبت (سهام) لتجلس إلى جوار زوجها فى سيارته ، وأخذت تلوّح بكفها للمدعوين ، والسيارة تبتعد ، حتى اختفوا من أمام عينيها ، فاعتدلت فى مجلسها ، وأخذت تنقل بصرها بين الطريق ، والرجل

الذى أصبح الآن زوجها ، بعد أن امتلك قلبها ومشاعرها ، وشعرت أنها فى ذروة سعادتها ، فهى لم تعرف الحب قبل الآن ، ولم تذق أحاسيسه الممتعة ، التى طالما سمعتها على لسان الأخريات ، أو قرأتها فى الكتب والروايات.

كانت تحلم به فقط ..

تحلم بأن يدق بابها ـ ذات يوم ـ ذلك الإحساس الممتع ، وتتذوق طعم الحب والسعادة ، اللذين داعبا خيالها طويلا ..

لم تكن فى ذهنها قط صورة لفتى أحلامها ، فقد كانت تنشد الحب كقيمة مجردة ، ومشاعر سامية ، دون أن يختلط ذلك ـ فى ذهنها ـ بصورة محدودة لذلك الإنسان ، الذى يمكنه أن يحرّك مشاعرها ، ويأتيها بالحب ، ولكنها ـ وفى هذه اللحظة ـ كانت توقن بأن هذه الصورة ـ إن وجدت ـ تنطبق تماماً على (مختار) فهو شاب وسيم ، رقيق ، جذّاب ، صادق فى مشاعره ، يمتلىء بالرجولة والعذوبة ، على الرغم من كونه رجل أعمال ناجحاً ..

لقد ازداد تعلقها به عندما صرح لها بحبه ، خلال لقائهما الأخــير فى النادى ، وتمنت لو أنهــا صارت زوجة له ، أكثر مما كان هو يتمناها ..

ولا ريب أنها محظوظة ..

لقد التقت بالحب الذى تحلم به ، وتوّجته بالزواج فى وقت خاطف رائع ..

ورَنت إلى زوجها بنظرة تحمل كل سعادتها وحبها وتملكتها فى تلك اللحظة رغبة قوية فى أن تتعلق بذراعه ، وتريح رأسها على كتفه ، ولكنها تردّدت ، وقد منعها حياؤها من ذلك ، ولكنها لم تكــد تتطلــع إلى عينيه المغناطيسيتين ، حتى تلاشت مقاومتها ، وانهار تردّدها ، فتعلقت بذراعه ، وتركت رأسها تسترخى على كتفه ، وهى تحلم بالسعادة القادمة ..

واتسعت ابتسامتها وهى تتذكر صديقتها (رجاء) ، حينما قبّلتها فى حفل الزفاف ، وقرصت ذراعها ، وهى تقول فى خبث :

– هل رأيت كيف أثمر خداعى لك ؟

– إننى لم أكن أقصد ما قلته لك حينذاك .

– لا عليك .. المهم أن تدبرى لى خدمة مماثلة .

ثم ألقت نظرة على (مختار) ، وضحكت ، وهى تستطرد فى مرح :

– من حسن حظك أنك صديقتى ، وإلا فما ترددت فى إتيان أية خدعة ، وأية وسيلة ، لاحتلال مقعــدك الليلة .

بدرَت منها ضحكة خافتة ، وهى تسترجع ذلك الحوار ، فالتفت إليها (مختار) وهو يسألها فى هدوء :

– ماذا يضحكك ؟

أيقظتهــا كلماته من جــوها الحــالم ، فاعتــدلت فى مجلسها ، ورفعت رأسها عن كتفه ، وأبعدت أصابعها عن ذراعه ، وتحولت ضحكتها إلى ابتسامة خجلى ، زادتها جمالا ، وهى تقول :

– لاشىء . لقد تذكرت موقفاً مضحكاً فحسب .

تأملها لحظة بلا انفعال ، ثم أدار وجهه إلى الطريق ، وهو يقود السيارة ، ولم تدر لحظتها لِمَ عاودها

ذلك الشعور الغامض بالخوف ، برغم ما ترفل فيه من السعادة ، والحب ؟

وأسرعت تلقى هذا الشعور جانباً ، وقد أحست بعدم جدواه ، وبضرورة ألا تترك لأى شيء فرصة إفساد سعادتها المتدفقة ..

ووصلا إلى عش الزوجية ..

وأدار (مختار) المفتاح فى باب الفيلا الأنيقة التى يملكها ، على ساحل البحر ، وهو يدعوها للدخول ، واستقبلهما الخدم بعبارات الترحاب والتهنئة ، فقال لهم (مختار) :

ـ شكراً لكم .. يمكنكم الانصراف الآن ، واعتبروا غداً إجازة .

انصرف الخدم وهم يكررون تحيتهم وتهنئتهم ، ويتمنون لهما ليلة طيبة ، واصطحب (مختار) زوجته إلى غرفة النوم بالطابق العلوى ، ووضع يديه فوق كتفيها ، وتطلع إلى عينيها بتلك النظرة النافذة العميقة ، وهو يقول :

ـ كان من المفروض بالطبع أن أهيئ لك شهر عسل رائعاً ، فى ربوع (أوروبا) ، ولكن ظروف عملى ، وارتباطاتى هنا تمنعنى من ذلك للأسف .

وضعت (سهام) كفها فى رقة ، فوق يده الممسكة بكتفيها ، وتطلعت إليه فى حب وصفاء ، وهى تقول :

ـ ستكون أيامنا كلها عسلا ، مادمت إلى جوارى يا (مختار) .

تأملها فى اهتمام ، وهو يقول :

ـ أتشعرين بالسعادة حقًّا ؟

ـ لا يمكننى أن أصف لك مدى سعادتى .. (مختار) .. أريد منك أن تعلم شيئاً .. إنك الرجل الوحيد الذى عرفته ، وأحببته طيلة عمرى .. ربما لم أدرك ذلك حينما التقينا لأول مرة ، ولكننى أشعر بذلك الآن ، وأشعر أيضاً بالخوف ، فالحب كما يأتى بالسعادة والنعيم لصاحبه ، فهو يحمل إليه أيضاً جحيم وعذاب من أضنام الحب ، ولقد كنت أخشى ـ فيما مضى ـ أن

أستسلم لمشاعرى نحوك ، فأشقى وأتعذب .. أما الآن ، وأنا معك ، فلست أرى إلا الجانب المشرق للحب .

ظلت عيناه تتأملانها بلا تعبير ، قبل أن يقول فى صوت هادئ رخيم :

– إنها البداية فحسب يا حبيبتى ، ولا تحكمى على الأمور قبل معايشتها بالكامل .

شعرت بأصابعه تكاد تنغرس فى أكتافها ، وتألقت عيناه فى بريق عجيب ، أعاد إليها ذلك الشعور الغامض بالخوف ، الذى داهمها فى السيارة ، وجعله يزاحم مشاعر الحب الفياضة فى أعماقها ، والتى أرادت أن تصرح بها ..

وعلى عكس المرة السابقة ، طال هذا الشعور وامتد ، بمقدار لحظة الصمت الطويلة بينهما ، قبل أن تقول فى صوت مرتجف ، ينبئ بحيرتها واضطرابها :

– (مختار) .. إنك تؤلمنى .

بدا وكأنه يستفيق فجأة من إحساس طاغ ، وأبعد

يديه عن كتفيها ، فأخذ يتحسسها فى ألم ، وهو يقول :

– آسف .. سأتركك الآن لتستبدلين ثيابك .

ثم أسرع يغادر الحجرة ، دون أن يلتفت إليها ..

ووقفت وحدها حائرة ، تتساءل عن سر الرهبة التى تملأ قلبها تجاه زوجها ..

إنه يبدو لها أحياناً عملياً واضحاً ، وأحياناً أخرى عاطفياً شاعرياً ، وأخرى مخيفاً مرهوب الجانب ، ولكنه فى معظم الوقت غامض مخيف ، وكأنه يخفى فى أعماقه سراً دفيناً ، أو أن حياته كلها أسرار دفينة ..

وأدهشها أنها لم تحاول أبداً سؤاله عن الوسيلة التى حقق بها كل هذا الثراء ..

كل ما عرفته عنه هو أنه قد عاش طفولة معذبة ، وخاض رحلة عذاب طويلة ، قبل أن يملك هذه الملايين ، ولكنها لم تحاول أبداً أن تسأله كيف ؟

حتى أبوها ، لم يحاول أن يسأله ذلك السؤال ..

أبوها الذى كان من أكثر الناس تزمتاً ، فيما يخص

الأنساب وأصول العائلات ، وتلك الأشياء الأخرى التى تعد مقدسة فى الأوساط الأرستقراطية القديمة ، لم يحاول أبداً أن يسأله عن أصله ونسبه ، مكتفياً بما سمعه منه ، من أنه ينتمى إلى أسرة بسيطة ، وأن والديه قد توفيا منذ فترة طويلة ..

لقد نجح (مختار) فى اكتساب والدها الأرستقراطى العريق ، الذى لم يتخل عن أرستقراطيته ، حتى فى أيام الفاقة ، وأقنعه سريعاً بقبول زواجه من ابنته الوحيدة ، وكذلك الأم ، التى سعدت ، وباركت تلك الزيجة ، دون اعتراض أو استفسار ، وكأنما اكتفى الجميع بما ذكره (مختار) ..

ترى أكان ذلك بسبب ثراء (مختار) ، ومركزه المالى المرموق ؟

ألأنه أعاد إلى والدها الأمل فى الثراء والمجد ، حينما قدم إليه مشروع مصنع النسيج الجديد ؟ ..

أم لأن والديها قد شعرا بحبها له ، من خلال موافقتها السريعة على الزواج ؟

أم أنها كل تلك الأسباب مجتمعة ؟

وهى ؟! .. أما زالت تثق فى مشاعرها نحوه ، على الرغم من الخوف الذى اعتراها بين يديه ؟ أم أن رهبتها من غموضه هى سر خوفها واضطرابها ؟

أبدلت ثيابها وهى تصارع تلك الخواطر فى رأسها وهى تحاول قتل ذلك الخوف الذى يملأ أعماقها تجاهه ، ويجعلها غير قادرة على الاستمتاع بسعادتها فى قربه ، تلك السعادة التى كانت تملأ كيانها منذ ساعات ، وهى تجلس إلى جواره فى حفل الزفاف ، وحينما تعلقت بذراعه فى السيارة ، وأراحت رأسها على كتفه ..

وحاولت أن تنفض عن نفسها تلك الرهبة ، حتى لا تفسد عليها فرحتها ، وجلست تنتظر زوجها ، ولكن انتظارها طال ، وطال ..

وفجأة سمعت صوت الباب الخارجى للفيلا وهو يفتح فجأة ، فأسرعت تهبط فى درجات السلم الداخلى ، وعيناها تبحثان عن زوجها ، ولكنها لم تر سوى باب

الفيلا وهو يغلق ، وتناهى إلى مسامعها صوت محرك سيارة يدور ، فعادت إلى حجرتها ، وجرّت قدميها جرًّا لتتطلع من نافذتها ، وترى (مختار) وهو ينطلق بسيارته مبتعداً عن الفيلا ..

مبتعداً .. مبتعداً .. مبتعداً ..

* * *



٧ ـ الحائرة ..

ظلت (سهام) قلقة حائرة طوال الليل ، وهى تفكر فى ذلك الرجل الغريب ، الذى يغادر منزله ليلة عرسه ، وتقلبت على جانبيها فى فراشها ، وهى تتساءل فى قرارة نفسها :

ـ هل حدث منى ما أغضبه ؟! .. ولكنه كان يبدو مرحاً سعيداً خلال حفل الزفاف ، كما لم تره من قبل ، وكان يبدو وكأنما حقق أمنية غالية بهذا الزواج .

نهضت من فراشها لتقف إلى جوار نافذة الحجرة ، وعيناها تتطلعان إلى ذلك الشارع الهادئ ، الذى يفصل الفيلا عن شاطىء البحر ، فى انتظار عودته ، وانتقل بصرها إلى أمواج البحر ، التى تصطدم بالشاطئ فى حركة رتيبة ، وصوت منتظم مهيب ، زاد من القلق الذى يعتمل فى نفسها ، فعادت تتساءل فى حيرة :

ـ لماذا غادر المنزل هكذا فجأة ؟ .. وأين ذهب ؟ .. ومتى يعود ؟

تفاوتت مشاعرها خلال ساعات الليل الطويلة ، بين القلق والحيرة والحزن والغضب ، وبدأت تشعر أنها غير قادرة على البقاء فى هذه الحجرة الخانقة أكثر من ذلك ، ففتحت بابها ، وهبطت الدرج إلى أسفل حيث اختارت مقعداً يتوسط الردهة ، فألقت جسدها فوقه ، وهى لا تدرى ماذا تفعل ، وأين تذهب أبعد من المقعد الذى انكمشت فوقه ، ودفنت رأسها بين كفيها ، ولم تمالك نفسها ، فتركت دموعها تنسال على خديها ، وتحولت تساؤلاتها العميقة إلى صوت مسموع وهى تهتف :

— لماذا ؟ .. لماذا يا (مختار) ؟ .. لماذا أفسدت أحلى ليالى العمر ؟

وظلت تبكى حتى غالبها النوم ، فراحت فى سبات عميق ، حتى استيقظت منتفضة على صوت المفتاح وهو يدور بالباب ، فاعتدلت فى مقعدها تتطلع إليه ، وهو يدلف إلى الفيلا وعيناه تحملان تعباً وإرهاقاً واضحين..

لقد كان من الواضح أن كليهما قد قضى ليلة مرهقة..

وفوجئ هو برؤيتها منكمشة فوق المقعد على هذا النحو ، فسألها فى صوت متعب :

— هل قضيت ليلتك هنا ؟

أجابته فى صوت خافت :

— كنت أشعر بالقلق عليك .. أين ذهبت ؟

— تذكرت عملاً هامًّا ، لابد من إنجازه .

هتفت فى دهشة :

— عمل ؟! .. فى ليلة زفافنا ؟! .. ألم يكن من الممكن أن ينتظر هذا العمل يوماً واحداً ؟ .. ألم يمكنك أن تخبرنى بذلك على الأقل ، قبل أن تغادر الفيلا على هذا النحو ؟

أجابها فى برود :

— عليك أن تعتادى ذلك ، فلقد تزوجت رجل أعمال .

— لقد تزوجت إنساناً أحبه ، كانت كلماته تقطر حبًّا وحناناً وعذوبة ، وعيناه تؤكدان أننى أغلى أمنية فى حياته .

أجابها بلهجة جافّة :
— هل سنتحدث فى هذا الأمر طويلا .. إننى مرهق ، وأحتاج إلى الراحة .
— أنا أيضاً قضيت ليلة قاسية ، تنازعتنى خلالها مختلف المشاعر والأحاسيس ، من جراء تصرفك غير المفهوم .
ازداد صوته خشونة ، وهو يقول :
— ادّخرى هذه العواطف والأحاسيس من الآن فصاعداً ، وحاولى اعتياد هذه الحياة .
تطلّعت إليه مشدوهة ، كما لو أنها تراه لأول مرة ، وغمغمت فى حيْرة :
— (مختار) !! .. لماذا تتحدث إلىّ على هذا الـ ..
قاطعها فى ضجر :
— قلت لك إننى مرهق ، وأحتاج إلى الراحة .. كما أننى أكره المناقشات الطويلة .
وقبل أن تتفوّه بكلمة واحدة ، أسرع يصعد الدرج إلى حجرة النوم فى الطابق العلوى ، وهى تتابعه

ببصرها فى دهشة ، وأعماقها تهتف فى حيْرة :
— مستحيل .. ليس هذا هو الرجل الذى أحببته وتزوجته .. ليس هو بالتأكيد .

* * *

استيقظ (مختار) من نومه فى الرابعة مساء ، وأخذ ينادى خادمه فى عصبية ، صائحاً :
— (على) .. أين أنت أيها الغبى ؟
تطلعت إليه (سهام) من أسفل الدرج ، وهى تقول :
— لا يوجد أحد هنا سواى .
هتف فى عصبية :
— وأين ذهبوا ؟
— هل نسيت أنك منحتهم إجازة ؟
بدا الضيق على وجهه ، وهو يضغط رأسه بكفيه، كما لو كان يعانى ألماً شديداً فى رأسه ، فأسرعت (سهام) ترقى الدرج إلى حيث يقف ، وهى تقول فى وجل :

– أتشعر بالتعب ؟

هز رأسه ، قائلا :

– لا .. لا .. إنه صداع فحسب .

– أأحضر لك قرصاً من (الأسبرين) ؟

– لا .. سيزول مع الوقت .. فقط أعِدِّى لى فنجاناً من القهوة .

– ولكنك لم تتناول شيئاً منذ الصباح .. سأعدّ لك أولا شيئاً تأكله و ..

قاطعها فى حدة مفاجئة :

– قلت إننى أريد فنجاناً من القهوة .. فنجاناً من القهوة فحسب .

ساد بينهما صمت بارد ثقيل لحظة ، ثم استدارت (سهام) فى هدوء ، وهبطت إلى المطبخ فى الطابق السفلى ، فى حين وقف هو لحظة يتابعها ببصره فى ضيق ، ثم لم يلبث أن أسرع يستبدل ثيابه على عجل ، وارتشف فنجان القهوة فى سرعة ، ثم أسرع نحو باب الفيلا يزمع الخروج ، ولكنه لم يكد يصل إليه حتى

توقف لحظة ، ثم التفت إليها قائلا فى صرامة :

– قبل أن تسألى ، أحب أن أقول إننى سأذهب لقضاء بعض الأعمال ، ولا تحاولى انتظارى ، فلست أدرى متى أعود .

استدار إلى الباب مرة أخرى ، ثم لم يلبث أن التفت إليها مستطرداً :

– هناك ثلاث حجرات للنوم فى الفيلا .. اختارى ما يحلو لك منها ، فأنا أحب النوم فى حجرة منفردة .

وفى هذه المرة غادر الفيلا ، وأغلق بابها خلفه فى عنف ..

وتهالكت (سهام) على مقعدها ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تتساءل عن سر تصرفاته العجيبة ، وتحوله المفاجئ ، حتى ليبدو وكأنه إنسان آخر ..

إنها لم تفعل ما يغضبه ، ويثير نقمته عليها إلى هذا الحد ، ووجدت نفسها تقول فى حيرة :

– لعل هناك ما يؤرقه فى عمله .. ربما كان شيئاً

خطيراً يضغط على أعصابه ، ويجعله يتصرف على هذا النحو .. نعم .. لابد أن ذلك هو السبب .. نفس السبب الذى اضطره لمغادرتها فى ليلة زفافهما ، واليوم أيضاً .. لاريب أنه يواجه موقفاً عصيباً ، يحاول إخفاءه عنها ..

شعرت بالارتياح فى البداية لهذا التفسير ، الذى يخلصها من حيرتها ، ثم لم تلبث أن شعرت بالقلق لما يواجهه (مختار) من صعوبات ..

وفجأة ارتفع رنين جرس الفيلا لينتزعها من أفكارها ، فأسرعت تفتح الباب ، ليطالعها والدها بابتسامته المرحة الحنون ، وشعرت لحظتها أنها قد ارتدت طفلة صغيرة ، وهى تلقى نفسها بين ذراعى والدها ، وتجهش بالبكاء على كتفيه ، مما جعله يربت على رأسها ، وهو يسألها فى قلق :

– (سهام) !! .. ماذا بك ؟

– لا شىء يا أبى .. إنها فرحتى برؤيتك .

داعبها قائلا :

– إلى هذا الحد ؟! .. إننا لم نفترق إلا منذ أقل من يوم واحد .

ثم تلفت حوله ، وهو يجلس إلى أحد المقاعد ، مستطرداً :

– أين (مختار) ؟ .. أما زال نائماً حتى الآن ؟

اكتسى وجهها بمسحة حزن ، وهى تقول :

– لقد خرج منذ نصف ساعة .

هتف الأب فى دهشة :

– خرج ؟! .. صباح زفافه ؟!

حاولت أن تخفى نبرات الحزن فى صوتها ، وهى تقول :

– لديه بعض الأعمال العاجلة .

– أية أعمال هذه ، التى تجعله يتركك وحيدة صباح الزفاف ؟ .. لقد كان من الواجب أن يصحبك فى رحلة إلى (أوروبا) على الأقل ، ألا يعلم أية عائلة صاهرها ؟

وبدا الغضب فى صوته ، وهو يستطرد :

ـ حينما تزوجت أمك قضينا شهر عسل رائعاً ، فى أجمل بقاع (أوروبا) .

وجدتها (سهام) فرصة مناسبة لإدارة دفة الحديث فسألته فى اهتمام :

ـ كيف حال أمى ؟

غمغم قائلا :

ـ فى خير حال .. لقد كانت تريد الحضور معى لرؤيتك ، ولكنك تعلمين طبيعة مرضها ، وصعوبة ذلك ، وأعتقد أنه من الأفضل أنها لم تأت ، وإلا تضاعف مرضها إزاء تصرف زوجك العجيب .

أرادت أن تفرّ من العـودة لمناقشة هـذا الأمر الشائك ، فنهضت قائلة :

ـ سأحضر لك بعض العصير المثلج يا أبى .

استوقفها ، قائلا :

ـ لا يا (سهام) .. تعالى هنا إلى جوارى .

جلست إلى جواره فى استسلام ، فاستطرد فى صوت هادئ :

ـ تذكرى أننى لم أضغط عليك لقبول الزواج من (مختار) ، ولقد أخبرتك من قبل أن مشروعه لن يعنى لى شيئاً ، إذا كان بمثابة مساومة على ارتباطه بك ، فأنت أغلى شىء وهبه لى الله (سبحانه وتعالى) وسعادتك هى كل ما نرجوه أنا وأمك ، فى أواخر أيامنـا ، أليس كذلك ؟

خفضت بصرها ، وهى تغمغم :

ـ بلى يا أبى .

ـ ولقد أخبرتنى يومها أن اختيارك لذلك الشاب وموافقتك على الزواج منـه ، كانا عن قنـاعة تامـة بشخصه ، ولقد ارتحت لصراحتك ، حينما أخبرتنى عن مشاعرك نحوه ، فهل كان ذلك حقيقيًّـا ؟

ـ نعم يا أبى .

ـ إذن فقد وافقت على الزواج لأنك تحبينه .

ـ نعم يا أبى .

رفع وجهها إليه ، وهو يقول فى حنان :

– لماذا يعلن وجهك عكس ذلك إذن ؟ .. لماذا أراك حزينة مهمومة صباح زفافك ؟

حاولت إخفاء دموعها ، وهى تقول :

– ربما لأن هذه هى المرة الأولى التى أفارقك فيها أنت وأمى يا أبى .

حدّق والدها فى وجهها بحيرة ، ولكن إجابتها لم تقنعه ..

لم تقنعه أبداً ..

* * *



٨ – وداعا يا حبيبى ..

غادرت (سهام) فيلا (مختار) ، وهى تحمل حقيبة ثيابها ، واستقلت واحدة من سيارات الأجرة ، فى طريقها إلى منزل أبيها .. وظلت طوال الطريق تسترجع ما مر بها ، طوال الأيام العشرة الماضية ، التى قضتها فى كنف زوجها ..

كانت أشق عشرة أيام فى عمرها كله ..

لقد حطم (مختار) أحلام حبها ، وحوّلها بيديه إلى كابوس مزعج ، وعذاب متصل ..

إنها لم تفهم حتى هذه اللحظة لِمَ يفعل بها هذا ؟ ..

لقد اقتحم حياتها باسم الحب ، فلماذا ؟ ..

لماذا تزوجها ؟ .. لماذا تحول إلى شخص مختلف ، كل غايته تعذيبها وإذلالها ؟ ..

لقد احتملت فى هذه الأيام العشرة ما يفوق احتمال البشر ، وهى تحاول أن تقترب منه ، أو تفهمه .. تحتمل إهاناته ، وقسوته ، وإصراره على الإساءة إليها

دون مبرر ، وهى تحاول أن تجد له المبررات ، وترجع إساءاته إلى مُعقد قديمة تحكم تصرفاته ، أو لمرض عصبي يمنعه من السيطرة عليها ، أو لصعوبات تعترض عمله ، ولكنه كان يقابل محاولاتها بالصدّ ، وبمزيد من الإهانات ..

مازالت تذكر ما أجابها به ، حينما سألته عما إذا كانت هناك صعوبات تعترض عمله ، فقال فى حِدّة :

– ليس من حقك أن تتدخلى فى شئونى .

– ولكننى زوجتك .

– هذا لا يمنحك إلا حق ذكر ذلك فى المجتمعات والتباهى به فحسب .

وحتى حينما طلبت منه أن يعرض نفسه على طبيب نفسانى ، ثار قائلا :

– أتظنيننى مجنوناً ؟

– أنا لم أقل هذا ولكن ..

قاطعها فى حِدّة وخشونة :

– إياك أن تذكرى ذلك مرة أخرى .

– (مختار) .. إننى أحبك ، على الرغم من كل إساءاتك لى ، وأحاول أن أبحث عن تعليل لما تفعله بى .

وارتجفت ، وهى تتذكر تلك النظرة المخيفة ، التى حدَجها بها – حينذاك – وهو يقول :

– ليس من حقك أن تبحثى أو تعللى .. فقط عليك تنفيذ أوامرى ، والإذعان لها ، حتى أجد الوقت المناسب لشرح الأمر لك .. حينما أرى ذلك مناسباً .

كانت كلماته حادة مخيفة ، غامضة رهيبة ، مما زاد من خوفها وحيرتها ..

والعجيب أن أفعاله كانت تحمل أحياناً لمسة حب ، ولكنها لمسة مستترة ، يخفيها دائماً خلف قناع من القسوة والصرامة ، فمازالت تذكر تلك الليلة ، حينما دخل إلى حجرتها ، وهى تتظاهر بالنوم ، وتختلس النظر إليه عبر أهدابها ، نصف المسبلة ..

ليلتها التقط الغطاء ، الذى انحسر عن جسدها ، ودثّرها به فى رفق ، ومسح على شعرها فى حنان ، ثم غادر الحجرة على أطراف أصابعه ، وفى مرة أخرى

انتابها تعب مفاجئ ، فأطل القلق من عينيه ، وأسرع إليها يعاونها على الجلوس فى رفق، وحينما التقت عيناهما قرأت فى عينيه ذلك الحب ، الذى رأته فى لقائهما الأخير فى النادى ، ولكنه لم يكد ينتبه إلى ذلك حتى استعاد ذلك القناع الصارم القاسى ، وكأنما يرفض أن يمنحها حبه ..

وفجأة قفز إلى ذهنها ذلك المشهد الذى جعلها تكرهه وتمقته ، حينما جاء والدها مهرولا ، بعد أن احترق مصنع النسيج ، الذى لم تمض على مشاركته فيه سوى أسبوع واحد ، وكان (مختار) يعلم بما حدث ، وكان قد استقبل الخبر هاتفيًّا فى برود ولا مبالاة ، وعلى الرغم من ذلك ، فلم يكد يرى والدها حتى ثار عليه ، وعنّفه فى قسوة بالغة ، وانهال عليه لوماً وتقريعاً ، وهو يتّهمه بالتسيب والإهمال ، ووالدها المسكين يقف أمامه منكسراً ذليلا ، وهو يتعمد إهانته أمامها ..

وشعرت لحظتها أن الخسارة المادية لا تعنيه ، بقدر

ما يعنيه إذلالها وإذلال والدها ، وطعن كبريائه فى الصميم ، وحينما ثارت ، وحاولت أن تتدخل وتحتج ، أسرع والدها يمنعها ، وكأنه يخشى غضب (مختار) ، ولقد أدهشها ذلك كثيراً ؛ لأنه يتعارض تماماً مع شخصية والدها (شاكر باشا) ، الذى يعتد دائماً بكبريائه وشخصيته ..

كيف انقلب هكذا مستسلماً ذليلا ؟ ..

لحظتها كرهت (مختار) ..

كرهته ، وكرهت نفسها ؛ لأنها يوماً أحبته ..

لقد كان يستحق هذه الكراهية ، منذ أول ليلة لزواجهما ، ولكنها تفجّرت فى أعماقها فى هذه اللحظة بالذات ..

لقد احتملت كل إساءاته لها ، وإهاناته ، ولكنها لم تحتمل إهانته لوالدها أمامها ..

وقررت لحظتها أن تغادر الفيلا ، ولكن ـ ولدهشتها الشديدة ـ انبرى والدها يعارض ذلك فى إصرار ، وأخذ يلحّ عليها ألاّ تفعل ، على نحو أقرب

إلى التوسُّل والضراعة والاستجداء ، وهى تتساءل :
كيف أصبح هكذا أمام ساديَّة زوجها ؟ ..
والآن ، لم تعد تحتمل البقاء ..
لقد أهانها (مختار) أمام خادمتها ، حينما نهرتها ، ففوجئت به يقتحم حجرتها ثائراً ، ويطالبها بالاعتذار للخادمة ، ويحذرها من أن تنهرها مرة أخرى ، وحينما رفضت أهانها بكلمات جارحة ، فجَّرت ثورتها الحبيسة ، فصاحت فى وجهه :
- من تظن نفسك ؟ .. إنك لست سوى شخص معقد مريض ، يتلذذ بتعذيب الآخرين ، ولقد تحملت بما فيه الكفاية ، على أمل أن تشفى أو تنصلح ، ولكننى لن أحتمل لحظة واحدة بعد اليوم .. إننى لم أعد أحبك. لقد جعلتنى أكرهك وأنا فى هذه اللحظة أحتقرك أيضاً ..
وانهار كل شىء حينما هوى على وجهها بصفعة قاسية ..
مسحت الدموع التى سالت على خدها ، وهى تسترجع تلك اللحظة القاسية المريرة ، وانتبهت من ذكرياتها على صوت السائق ، وهو يقول :

- لقد وصلنا يا سيدتى .
نقدته أجره ، واتجهت إلى منزلها بخطوات بطيئة متثاقلة ، وأخرجت مفتاح منزلها ، الذى تحتفظ به ، وفتحت الباب وهى تتأمل المنزل ، الذى فارقته على جناح السعادة ، وعادت إليه فى بئر حزن عميقة ، كسيرة الفؤاد ..
وفجأة ألقت حقيبتها وسط ردهة المنزل ، واندفعت إلى حجرة أمها ، وهى تشعر برغبة عارمة فى إلقاء نفسها وسط أحضانها الدافئة الحنون ..
ولمحها والدها وهى تندفع إلى حجرة أمها ، فألقى الكتاب الذى يطالعه ، وغادر حجرة مكتبه خلفها فى قلق وجزع ، ولم يكد يصل إلى حجرة الأم حتى توقف ..
لقد كانت (سهام) تدفن وجهها فى صدر أمها ، وتفرغ تلك الدموع ، التى حبستها فى صدرها طويلا ..
دموع المرارة ..

* * *

٩ ـ عودة حزينة ..

لم يتمالك (شاكر) نفسه ، حينما استجاب لنداء جرس الباب ، وفوجئ بقدوم (مختار) ، فصاح فى وجهه ثائراً :

ـ أنت ؟! .. أما زالت لديك الجرأة لتأتى إلى هنا ؟

أجابه (مختار) فى صلابة وصرامة :

ـ أريد زوجتى .

أشاح (شاكر) بوجهه ، وأولاه ظهره ، وهو يقول فى حدّة :

ـ زوجتك ؟! .. إياك أن تنطق بهذه الكلمة .. إنها لن تعود إليك أبداً .

اندفع (مختار) إلى داخل المنزل ، وأغلق الباب خلفه فى عنف ، وهو يقول :

ـ (سهام) زوجتى ، وستعود معى إلى منزلى ، سواء شئت أم أبيت .

استدار (شاكر) يواجهه ، قائلا فى حدّة :

ـ اسمع يا هذا .. ابنتى ليست زوجتك منذ هذه اللحظة ، ومن الخير لك أن تطلقها ، وألاّ تدعنى أرى وجهك بعد اليوم مطلقاً .

جلس (مختار) على أقرب مقعد إليه ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هل تقدّر حقّاً عواقب ذلك القول يا (شاكر) أم أنك مازلت تتوهم أنك الباشا ، القادر على التحكم فى مصائر الآخرين ؟

تضاعفت ثورة (شاكر) ، وهو يهتف :

ـ إذا كنت تظن أن السنين قد نالت منى ، وحولتنى إلى إنسان ضعيف ، يعمل حساباً لصعلوك مثلك ، فأنت واهم ، فأنا (شاكر باشا أمين) ، وسأبقى كذلك ، أما أنت فمجرد صعلوك طفيلى حديث الثراء ، وإياك أن تتصور أيها الصغير أن المال وحده يمكنه أن يجعلك سيداً .

بدا لحظة أن هذه الكلمات قد أثارت كوامن

الغضب فى نفس (مختار) ، فقد قطّب جبينه ، واتسعت عيناه لحظة ، ثم لم يلبث أن استعاد بروده وسخريته ، وهو يقول :

- مادمت تعتقد أننى صعلوك طفيلى ، فلم وافقت على مصاهرتى أيها السيد المرهوب الجانب ؟

مال (شاكر) نحوه ، وبادله نظرات الكراهية والحقد ، وهو يقول :

- لقد كانت هذه هى خطيئتى الكبرى ، حينما نزلت على رغبة ابنتى ، ورضيت بك زوجاً لها .

ابتسم (مختار) فى سخرية ، وأخرج من جيبه رزمة من الأوراق المالية لوح بها فى وجه (شاكر)، وهويقول :

- لِمَ لا نتحدث فى صراحة يا (باشا) ؟ .. لِمَ لا تعترف بأن موافقتك السريعة على زواجى من ابنتك كانت من أجل هذا المال ، وحلم الثراء والمصنع والمجد الضائع ؟ .. المال وحده هو الذى يصنع السيد والعبيد أيها (الباشا) .. لقد بعت ابنتك ، وأنا اشتريتها ودفعت الثمن .

تطاير الشرر من عينى (شاكر) ، وهو يمسك بياقة سترة (مختار) ، ويهزه فى عنف ، صائحاً :

- أيها الوغد الحقير .

أبعد (مختار) يده فى تحدّ واضح ، وهبَّ واقفاً ، وهو يقول :

- أنت تعلم أن ذلك الوغد الحقير يمكنه أن يلقى بك فى السجن لو أراد ، هل نسيت أننى أحمل فى جيبى عقداً ، يلزمك بسداد كل حصتك فى رأس المال ، فى حالة حدوث أية أضرار للمصنع ؟ .. وأنك قد وقعت على شيكات بدون رصيد ؟ .. لقد احترق المصنع ، ورصيدك يساوى صفراً ، ويمكننى الآن أن ألقى بك فى السجن .

تهالك (شاكر) فوق أحد المقاعد ، وارتسم اليأس والمرارة فى ملامحه ، وهنا اندفعت (سهام) من حجرة أمها ، حيث كانت تنصت إلى ما يدور بين أبيها وزوجها ، دون أن تستجيب لنداء الأم ، ووقفت أمام أبيها ، الذى بدا كتمثال للألم واليأس ، وهى تقول :

ـ أهـذا صحيح يا أبى ؟ .. أأنت متورط إلى هـذا الحـد ؟

ابتسم (مختار) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هيَّا يا (شاكرباشا) .. أخبر ابنتك بالحقيقة . أخبرها لِمَ وقفت أمامى ذليلا منكسراً ، واحتملت إهانتى لك فى فيلتى بعد الحريق .. أخبرها .

صدمت (سهام) إزاء وجوم والدها وانكساره ، فى حين اندفعت أمها خارج حجرتها ، فوق مقعدها المتحرك ، وهى تقول فى ضراعة :

ـ وهل يرضيك يا ولدى أن تفعل ذلك ؟ .. لقد فقدنا كل شىء .. فقدنا المصانع والقصر ، والشهرة والثراء .. أفلا يكفيك ذلك ؟ .. ألا يكفيك أن حريق مصنعك قد أضاع أيضاً مورد رزقنا الوحيد ، وذلك المنزل القـديم ، الذى كنا نتقوَّت من إيراده ؟ .. ألا يكفيك أنك قد دمرت سعادتنا ، حينما حولت زواج ابنتنا الوحيدة بك إلى جحيم وعذاب ؟ .. ألا يكفيك كل هذا ، فتهدد بإرسال عائلنا الوحيد إلى السجن ؟

تجاهل (مختار) الأم ، والتفت إلى (سهام) ، قائلا فى صرامة :

ـ أعدِّى حقيبتك .. ستعودين معى ، من أجل مصلحة والدك .

بكت الأم وهى تقول :

ـ تعود إلى مزيد من العذاب والشقاء ؟!

قطعت (سهام) قـول الجميع ، وهى تقـول فى هدوء :

ـ سأعود معك يا (مختار) .

أيقظت عبارتها والدها من يأسه ، فقفز من مقعده كالوحش الضارى ، وهو يقول :

ـ مُحال .. لن تعودى معه أبداً .

ثم التفت إلى (مختار) ، ورفع سبابته فى وجهـه مستطرداً :

ـ لقد احتملت الذل والمهانة فيما مضى ، خوفاً على ابنتى ، ولكننى ، ومن أجلها أيضاً ، لن أبالى بأوراقك وتهديداتك .. لن أبالى حتى بالموت نفسه ..

الآن فقط فهمت لِمَ تفعل كل ذلك .. إنك تحاول الانتقام منا لسبب مجهول ، ولن أستبعد أن تكون أنت المسئول عن حريق المصنع ، ولكننى لن أبالى .. هأنذا أمامك افعل بى ما يحلو لك ، ولكنك لن تحقق أهدافك الدنيئة بإذلال ابنتى أبداً .

أسرعت (سهام) تقبّل يد والدها ، وتحاول تهدئة ثائرته ، وهى تقول فى ضراعة :

– أبى .. أرجوك .. لا تقل ذلك .. سأعود معه بكامل إرادتى .

والتفتت إلى (مختار) ، مستطردة فى مرارة :

– هل يمكنك انتظارى بالخارج ، حتى أعدّ حقيبتى ، وألحق بك ؟

– على ألا يتجاوز ذلك ربع الساعة ، وإلاّ فلا تلومى إلا نفسك .

– سألحق بك فى أقل من ذلك .

انصرف (مختار) فى هدوء وثقة ، فى حين صاح الأب فى إصرار :

– مستحيل .. لن تذهبى معه ، إننا لا نقبل تضحيتك بنفسك من أجلنا .

– أبى .. أتوسّل إليك .. دعنى أذهب .. أنت تعلم أن أمى مريضة ، وهى تحتاج إلى وجودك إلى جوارها ، وصدقنى .. إننى أذهب معه فى محاولة لاستعادة تلك الأوراق التى يدينك بها ، وبعدها لن نخضع له أبداً .

أمسك والدها بذراعها ، قائلا :

– لا .. لن أسمح لك .. إنه شاب خطير معقّد ، ولست أدرى ما يمكن أن يفعله بك .

أفلتت من قبضته ، وأسرعت إلى حجرتها ، لتجمع حوائجها ، وهى تقول :

– اطمئن يا أبى .. لن أمنحه فرصة إيذائى .. اطمئن .

وأسرعت تهرول إلى خارج المنزل ، دون أن تودّع والديها ، اللذين ألقيا عليها نظرة ألم ومرارة ، ثم تهالك الأب فوق مقعده فى يأس ، وأجهشت الأم بالبكاء .

وبكى الحب ..

• • •

١٠ – ارحم عذابى ..

قاد (مختار) سيارته فى صمت ، وشاركته (سهام) التى تجلس إلى جواره صامتة، وهى تتطلع إلى الطريق فى حزن وشرود، يغمرها إحساس بأنها قد غدت أسيرة لذلك الرجل ، وأنها لم تعد تملك إلا الخضوع له ..

وقال لها من خلال ملامحه الجامدة ، دون أن يلتفت إليها :

– لن نذهب إلى فيلا الساحل .. إننى أمتلك فيلا أخرى فى منطقة نائية ، ستقيمين فيها بعض الوقت .

أجابته فى لامبالاة :

– اذهب بى حيثما شئت ، فالأمر يتساوى .

لم يعلق على عبارتها اليائسة ، ولم ينطق بحرف واحد وهو يقود سيارته فى صمت،حتى توقف فى بقعة منعزلة ، عند طريق (مرسى مطروح) ، أمام فيلا صغيرة منعزلة ، يحيط بها سور حجرى ، تلتف حوله الأشجار ، وهرع من داخل الفيلا ثلاثة رجال

لاستقباله ، فتح أحدهم باب السيارة ، وهو يحييه بحرارة ، قائلا :

– حمداً لله على سلامتك يا (مختار) بك .

أجابه (مختار) فى لهجة آمرة :

– هل أعددتم الفيلا يا (سليم) ؟

– كل شىء كما أمرت يا (مختار) بك .

دعاها للهبوط من السيارة ، وهو يأمر أحد الشخصين الآخرين بنقل الحقائب إلى الفيلا ، وقال فى صرامة ، وهو يرشدها إلى حجرة نومها :

– عليك أن تعتادى العيش هنا ، وحينما أقول هنا فأنا أعنى داخل جدران الفيلا ، فلن يسمح لك بمغادرتها على الإطلاق ، وهؤلاء الرجال الذين رأيتهم بالخارج ، تقتصر مهمتهم على حراستك، ومنعك من مغادرة الفيلا كما أن المنطقة منعزلة كما ترين ، ولن تجدى أية وسيلة نقل إلى الإسكندرية ، وينبغى أن تعتادى ذلك ، حتى تستقيم الأمور بالنسبة لك هنا .

قالت فى مرارة :

- إذن فهذا هو السجن الذى اخترته لإقامتى .

أجابها فى برود :

- يمكنك اعتباره كذلك ، كما ينبغى أن تعلمى أنه لا يوجد هنا خدم أو حشم ، وسيكون عليك خدمة نفسك ، وخدمتى أيضاً ، خلال الأيام التى أنوى قضاءها هنا .. هل فهمت يا زوجتى العزيزة ؟

قلبت شفتيها فى ازدراء ، وهى تقول :

- هل من أوامر أخرى ؟

- يكفى هذا اليوم .

ثم تركها وانصرف ، دون أن يضيف حرفاً واحداً .

* * *

قررت (سهام) أن تكون قوية ، وأن تقاوم رغبته فى إذلالها ..

قررت أن تمنع دموعها ، حتى حينما لا يكون أمامها إلا البكاء ، حتى لا يسعده ذلك .

لقد عاملها (مختار) ، فى هذا المكان ، أسوأ

معاملة يمكن أن يتصورها بشر ، فقد كان يتعمد إذلالها وإهانتها ، وكأنه ينتظر منها أن تتألم ، وتشكو ، وتتذمر .

ولكنها لم تفعل ..

كانت تنصاع لكل أوامره فى صبر وجلد ، وكأنها تثبت له أنها أقوى من قسوته ، وهى تتحيَّن الفرصة المناسبة لاستعادة الأوراق التى يهدد بها والدها ..

واحتملت كل أعباء المنزل على الرغم من كثرتها ، فكانت تمارس عدة أعمال فى وقت واحد ، من تنظيف وغسل الملابس ، وإعداد الطعام ، وغيرها من الشئون المنزلية ، على نحو يتجاوز طاقتها ، وكأنها تتعمد إرهاق نفسها ، حتى لا يبقى لديها وقت للهموم والأفكار ، فتظل فى حركة دائبة طيلة النهار ، ومن الصباح الباكر ، حتى تلقى جسدها المنهك على الفراش ، فى ساعة متأخرة من الليل ..

وكان لهذا الجهد المضاعف ، وزهدها فى الطعام تأثيرٌ قوىٌ على صحتها ، ففقد وجهها نضارته ، وأصيب

جسدها بالهزال ، وانحفرت فى ملامحها آيات التعب والإرهاق .

وذات يوم عاد (مختار) ، وهى منهمكة فى أعمالها المرهقة ، وتأملها لحظة ، ثم أسرع إلى حجرته ، التى ظل حريصاً على أن يقيم فيها منفرداً منذ زواجهما ، ومن العجيب أنه لم يصدر إليها أية أوامر فى ذلك اليوم ، ولكنها شعرت أنه يراقبها خفية .. كان لديها إحساس قوى بذلك ، ولقد تحوّل إحساسها هذا إلى الدهشة ، حينما اقترب منها فى المساء ، وقال :

– ألا يكفى ذلك ؟! .. إنك ترهقين نفسك أكثر مما هو مطلوب .. لقد هزل جسدك تماماً .

لم تعلّق على عبارته ، أو تُبْدِ اهتماماً بها ، واستمرّت فى تنظيف الأرضيات فى اهتمام ، وحبات العرق الباردة تتساقط على جبينها ، فاندفع نحوها فجأة ، واختطف (الفرشاة) من يدها ، وألقى بها بعيداً ، وهو يقول فى حِدّة :

– لا تتجاهلينى حينما أتحدث إليك .

التفتت إليه فى برود ، قائلة :

– سمعاً وطاعة يا سيّدى .

زادته عبارتها ونظرتها حَنَقاً ، فقال فى حِدّة :

– ولا أسمح لك بمخاطبتى بهذا الأسلوب أيضاً .

ظلّ وجهها جامداً ، وهى تقول :

– لماذا ؟ .. ألست أَمَتَك التى ابتعتها بنقودك كما تقول ؟ .. لست أملك إذن إلا السمع والطاعة .

قال فى حِدّة :

– اسمعى .. سأحضر – من الغد – خادمة للقيام بأمور المنزل ، وامنحى نفسك بعض الراحة .

ثم عاد يستطرد فى صرامة :

– وحذار من إهانتها ، كما فعلت مع الخادمة السابقة .

* * *

نجحت (سهام) ذات يوم فى التسلل إلى حجرة (مختار) ، وأخذت تقلب أدراج مكتبه وصِوَان ملابسه ، بحثاً عن الأوراق التى يُدِين بها أباها ، وبينما

استغرقها ذلك ، فوجئت به أمام باب الحجرة ، يبتسم فى سخرية ، ويقول : يا لك من ساذجة !! .. هل تصورت أننى سأحتفظ بتلك الأوراق هنا ؟! .. اسمعى يا صغيرتى .. إننى لست بالغباء الذى تتصورينه ، واطمئنى .. إننى لن أستخدم تلك الأوراق أبداً ، إلاّ إذا تصرف أحدكم تصرفاً أخرق .. لقد حضر والدك اليوم إلى مكتبى بحثاً عنك ، وكان منزعجاً للغاية ، وأخبرنى أنه وأمك شديدا القلق بشأنك ، وهددنى بإبلاغ الشرطة ، واتهامى باختطافك ، ولكننى أخبرته أن ذلك لن يكون لصالحك ، وأنه ربما حرمه رؤيتك إلى الأبد ، وأعتقد أن حديثى قد أعاد إليه صوابه ، فقد بكى ، ووعدنى ألاّ يكرر ذلك أبداً ، وعليك أنت أيضاً ألاّ تكررى فعلتك هذه ، وإلاّ أثرت غضبى .

حدَجَتْه بنظرة تحمل كل كراهيتها واحتقارها له وهى تقول :

— أمقتك .. لقد تحولت من رجل أعمال إلى رجل عصابات ، يخطف ، ويسجن ، ويهدد ، ويبتز .. كم

أمقتك .. لقد غررت بى بابتسامتك الزائفة ، وعينيك الكاذبتين ، وكلماتك المنمقة عن الحب ، ودون أن أدرى أى شيطان يختفى خلف مظهرك الوسيم .. إننى أجهل حتى الآن سرّ نوازعك الشريرة ، التى دفعتك إلى خداعى ، وتمثيل دور المحب العاشق ، حتى تتزوجنى ..

إننى أمقتك .. أمقتك كما لم أمقت إنساناً من قبل .. إننى ..

اختنقت الكلمات فى حلقها ، فاندفعت إلى حجرتها وألقت نفسها على فراشها ، وانخرطت فى بكاء حاد ..

لقد خانتها صلابتها هذه المرة ، فبكت ، وقد فقدت قدرتها على الاحتمال ..

وشعرت به يفتح باب حجرتها ، ويتقدم نحو فراشها ، ويجلس على طرفه ، وحاولت إيقاف دموعها حتى لا يراها ، إلاّ أنها لم تفلح ، وظلّ هو صامتاً فترة طويلة ، قبل أن يتنهّد فى عمق ، ويقول :

— (سهام) .. لا تبكى .. أنا أيضاً لم أعد أحتمل

استمرار هذه اللعبة .. لم أعد قادراً على احتمال عذابك وآلامك .. لقد كان من المفروض أن يستمر كل شىء حتى النهاية ، كما أعددت له ، ولكننى لم أعد أحتمل .. آن للعبة أن تتوقف عند هذا الحد .

ونهض ، وهو يستطرد فى هدوء حزين :

— أعدّى حقيبتك ، سأعيدك غداً إلى والديك .

تطلعت إليه فى دهشة وهو يغادر الحجرة ، وخيل إليها أنها رأت فى عينيه شيئاً يختلف عن كل ما رأته منذ زواجهما ..

شيئاً يشبه ما رأته ، حينما حدثها عن مشاعره فى النادى ..

شيئاً هو مزيج من الشفقة والحب ، ولمحة أخرى حارت فى تفسيرها ..

لمحة حزن ..

حزن هائل دفين ..

• • •



فوجئ (شاكر) برؤية ابنته ، وهى تدخل إلى منزله برفقة زوجها ، فأسرع يضمّها إلى صدره فى شوق وحنان ، وهو يهتف :

— (سهام) .. أين كنت يا بنتى العزيزة ؟

واندفعت الأم من غرفتها ، فوق مقعدها المتحرك وهى تفتح ذراعيها لابنتها ، والدموع تنهمر من عينيها ، صائحة :

— (سهام) !! .. حمداً لله .. لقد استجاب لدعائى .

ألقت (سهام) نفسها بين ذراعى أمها ، وعانقتها ودموعهما تمتزج فى مشهد عاطفى مؤثر ، فى حين ظل (مختار) واقفاً إلى جوار الباب ، ووجهه يحمل تعبيراً جامداً ، حتى حينما التفت إليه (شاكر) بنظرة متسائلة وكأنما يحاول أن يستشف من ملامحه ، ما إذا كان قد أعاد (سهام) ؛ لأن ضميره قد استيقظ وصحا، إن عمله

ينطوى على دافع آخر شرير ، وشعر (مختار) أن عليه أن يقـدم إيضاحاً لموقفـه ، فأخرج من جيبـه تلك الأوراق التى تدين الأب ، وناوله إياها ، قائلا :

– ها هى ذى الأوراق ، يمكنك أن تمزقها ، أو تحرقها ، أو تفعل بها ما يحلو لك .

علت الدهشة وجه (شاكر) ، وهو يحاول أن يفهم مغزى ذلك التصرف النبيل ، فى حين استطرد (مختار) فى نبرة حزن عميقة :

– وغـداً تصلك ورقة طـلاق ابنتك ، لتنتهى متاعبكم ، وسـوف تصلهـا كل حقوقهـا كاملـة ، وسأمنحها فيلا الساحل ، وكذلك السيارة .. إنه أقـل تعويض يمكنها أن تحصل عليه ، مقابل شهر ونصف من العذاب معى .

لم تكن دهشة (سهام) أقلَّ من دهشة والديها ، إزاء هذا التحول الجديد ، غير المتوقَّع ، فى شخصية (مختار) ، وغمغم والدها فى حيرة :

– لست أفهم سرّ تحوُّلك هذا ، ولكننى على أية حال أشكرك على مافعلت .

عادت القسوة فجأة إلى ملامح (مختار) ، وهو يقول فى حنق :

– إننى لا أستحق الشكر ، بل العزاء .. لم يكن هذا ما أرغب فيه أو أتمناه .. لقد كنت أبتغى هـدفاً آخر .. أن أحطِّمك .. أن أعذِّبك بعذاب ابنتك وهوانها ، حتى تنهار ، وتتهاوى أمامى .. كنت أريد أن أزرع الشقاء فى هذا البيت ، ولكننى فشلت .. فشلت فى تحقيق حلم عملت طويلا من أجله .. فشلت لأن ضميرى لم يقو على الاستمرار فى هذه اللعبة .. ولقد كان حبى لابنتك هو نقطة ضعفى .. كنت أظن أن قلبى قد تحجر ، ولم يعد يعرف إلا القسوة والرغبة فى الانتقام ، وحاولت أن أؤكد ذلك لنفسى ، وأنا أبالغ فى تعذيب (سهام) وامتهانها .. ولكننى فشلت .

تطلع إليه الجميع فى مزيج من الدهشة والحيرة ، وغمغم الأب :

— ولماذا تكرهنى إلى هذا الحد ؟

أمسك (مختار) ذراعه فجأة ، وجحظت عيناه ، وهو يقول فى انفعال :

— إننى أكرهك كما لم أكره مخلوقاً من قبل .. أتريد أن تعلم السبب؟ .. مُدّ بذاكرتك إذن إلى الوراء. هل تتذكر (سيد سليمان) وزوجته (فاطمة) ؟.. أراهن أنك لا تذكرهما .. منـــذ عشرين عاماً كانا زوجين سعيدين راضيين ، على الرغم من بساطتهما وفقرهما ، ورزقهم الله طفلا وحيداً ، خفف وطأة بؤسهم وشقائهم .. هذا الطفل هو أنا ..

ولقد كان (سيد سليمان) عاملا صغيراً فى أحـد مصانعك ، حينما كنت (الباشا) الكبير ، الذى يشار إليه بالبنان ، وعلى الرغم من ثرائك الفاحش ، كنت جشعاً ، شرهاً ، تستهين بأرواح البشر ، وتعاملهم على أنهم آلات ، كل مهمتهم أن يعملوا لمضاعفة ثروتك ، التى تبددها على موائد القمار ..

وكانت تلك الجنيهات القليلة التى يتقاضاها والدى

من مصنعك ، هى مورد رزقه الوحيد ، وحينما داهمه المرض أراد أن يخفى ذلك ، حتى لا يفصله صاحب المصنع الجشع ، الذى يبخل على عماله بأيّة ضمانات، تقيهم شر الفاقة ، وتقلبات الزمان ، فظل صامداً أمام آلات النسيج ، متحملا ، صابراً ، يحتمل آلامه ، خشية أن يدفع الفقر السائد فى تلك الأيام أحدهم ، فيتحين الفرصة ليحتل عمله ويحوز أجره ..

احتمل من أجل زوجته وولـده ، اللذين كانا يتقوّتان من أجره الضئيل ..

وتضاعفت خسارتك على موائد القمار ، واشتد ضغط العمل فى مصانعك لتعويض الخسارة من دماء العمال المساكين ، خاصة وقد تضاعف الطلب على منسوجاتك ، فأصدرت أمراً بأن يعمل العمال ورديتين متتاليتين ، ولم يحتمل قلب العامل المسكين ذلك ، وأصبح الموت يتهدّده من لحظة إلى أخرى ، فذهب إلى مكتبك ، وتضرّع إليك أن تعفيه من العمل الإضافى ، وشرح لك ظروف مرضه ، وآلام قلبه الضعيف ،

ولكنك قابلت ضراعته فى قسوة وفظاظة ، وأخبرته أنه لا شأن لك بمرضه ، وأنه إما أن يعمل كباقى العمال ، أو يترك العمل نهائيًّا ..

واستسلم المسكين لقدره ..

استسلم لحتفه ، حتى يجد ما يتقوّت به ولده وزوجته وعاد ليعمل أمام ماكينات مصنعك اثنتى عشرة ساعة يوميًّا ، حتى انهار قلبه المريض ، وسقط قتيلا وسط العمال والماكينات ، التى لم تتوقف لحظة واحدة ، على الرغم من ذلك ..

كانت (سهام) تستمع إلى كلماته فى ألم وذهول ، والتقت نظراتهما لحظة ، فابتسم فى مرارة ، وهو يستطرد :

— ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تجاهلت تلك الأسرة البائسة ، التى لقى عائلها مصرعه فى قلب مصنعك ، ومات ضميرك ، فتركت أسرة المسكين بلا مورد رزق ، وكأنما لم يكفها فقد عائلها ، وذهبت الأم البائسة إلى قصرك المنيف تبكى وتتوسل ، وتناشدك

إنقاذها وإنقاذ ابنها من التضوُّر جوعاً ، ولكن قلبك المتحجر لم يلن ، ولم تقدم لها إلا عرضاً بأن تعمل فى قصرك .. خادمة ..

وأصبحت (فاطمة) خادمة فى منزل الرجل ، الذى تسبب فى مقتل زوجها ، وطرحت كراهيتها وحزنها جانباً ، حتى يمكنها تربية ولدها ، وتنشئته على النحو الذى تمناه زوجها قبل رحيله ، ومن أجل ذلك عاشت ، وتحملت ..

ولم يكفك ذلك ، فقد مات ضميرك ، وتبلّد ، وواريته التراب ..

وحاولت أن تغازل الخادمة المسكينة ، ولكنها صدّتك ، فلم تغفر لها ذلك أبداً ..

وذات ليلة أردت أن تغطى بعض خسائرك الفادحة فى القمار ، فحاولت أن تسرق مجوهرات زوجتك ، بعد أن نفدت نقودك ، وحينما كشفت زوجتك ذلك ، قبل أن تبارح القصر ، أسرعت تدس المجوهرات فى

ثياب الخادمة المسكينة ، لتضرب بذلك عصفورين بحجر واحد ، وتحقق هدفين فى آن واحد ..

أولا : إخفاء محاولتك للسرقة ، بعد أن حامت حولك شكوك زوجتك ..

وثانياً : الانتقام من الخادمة التى أبت أن تفرّط فى شرفها ..

وكشفت زوجتك وجود المجوهرات فى ثياب الخادمة المسكينة ، ولم يشفع لها بكاؤها وتوسلها ، وقسمها بأغلظ الأيمان أنها بريئة مظلومة ، وأصررتَ أنت على تسليمها للشرطة، واتهامها بالسرقة، ولم تُجْدِ شهادتها بالطبع ، والتى تتهم فيها (شاكر باشا) ، الذى رأته يغادر حجرتها ، حينما هرعت من المطبخ على صوت صراخ (الهانم) ..

كان دفاعها صوتاً فقيراً ، لا يمكن سماعه أمام نفوذ (شاكر باشا) وسلطانه ، وثرائه المزعوم ..

وألقيت أمى فى السجن بجريمة لم ترتكبها ، ولم يؤلمها ذلك ، بقدر ما آلمها أن وحيدها قد بات يتيماً وحيداً ، محروماً من حنان أبيه ودفء أمه ، وهو لم يتجاوز بعد الثانية عشرة من عمره ..

وأقام المسكين عند أحد أقاربه ، وداوم على زيارة أمه فى سجنها بانتظام ، وهى تحرص فى كل مرة على أن تخفف عنه آلامه ، وتبث فى نفسه روح التسامح والمغفرة ، وهى التى تحتاج إلى من يخفف عنها آلام السجن والظلم والهوان ..

كانت تحرص على اقتلاع جذور الحقد والكراهية من قلبه الصغير ..

كانت امرأة عظيمة بكل ما تحمله الكلمة من معان ..

وذات يوم ذهب الصغير لزيارة أمه ، فأخبروه أنها ماتت ..

ماتت حزناً وكمداً فى سجنها ، دون أن يُلقى عليها نظرة أخيرة ..

ومنذ ذلك اليوم ، لم يعرف قلب الصغير التسامح والغفران ، بل جعلته المأساة التى يحياها ينمو قبل الأوان ويشيب قلبه ، فلا يعود يفكر إلا فى الانتقام ممن فعلوا به ذلك ..

وفرّ الصغير ..

فرّ ليعمل على سطح سفينة سياحية ، تعرّف على سطحها ثريّاً إنجليزيّاً عجوزاً ، وخدمه بإخلاص وتفان طوال فترة مرضه ، على سطح السفينة ، وقدر له الثرى ذلك ، فعرض عليه أن يصطحبه إلى (لندن) ، ويتبناه.

ووافق الصغير ..

وكان الرجل كريماً ، طيباً ، عامله كأنما هو ابنه الحقيق ، فألحقه بأفضل المدارس ، ومنحه أفضل الثياب ، وغمره بعطفه ورعايته ، وبادله الصغير إخلاصه وتفانيه ، حتى مات الرجل بعد ست سنوات ، وترك للصغير ثروة معقولة ، تفرّغ لإدارتها وتنميتها فى حذق ومهارة ، حتى صار واحداً من ألمع رجال الأعمال فى (أوروبا) ..

وتحوّل الصغير إلى مليونير ، وقرر أن الوقت قد حان ليعود ، ويبدأ فى تنفيذ الانتقام الذى لم ينسه يوماً ..

وعاد الصغير الذى أصبح يافعاً ، وتحرّى ، وسأل ، وتقصّى ، حتى علم ما أصاب (شاكر باشا) من خراب ودمار ، ولكن هذا لم يكفه ، فقد قرر أن يذيقه كأس المرارة والبؤس والهوان ، التى جرّعها هو حتى الثمالة ..

وقرر أن ينتقم بأن يتزوج ابنة قاتل أبيه وأمه ، ويعذبها ، ويذيقها الذل والهوان على مرأى منه ، ويدبر له فى الوقت ذاته جريمة ملفّقة ، تلقى به فى السجن ، كما حدث لأمه .

هذا الصغير هو أنا ..

أنا يا (شاكر باشا) ..

تهالك (شاكر) فوق مقعده ، ووجهه ينطق بالندم ، والألم ، والمرارة واليأس ، فى حين اقترب (مختار) من (سهام) ، وقال :

– كان كل شىء مدبَّراً منذ البداية .. منذ دعتك (رجاء) لحضور حفل عيد ميلادها ، وهى تتصوَّر أننى أريدك زوجة .

اغرورقت عينا (سهام) بالدموع ، وهو يستطرد :

– لم يكن لك ذنب فيما حدث ، ولم يكن لى ذنب فى مأساتى المبكرة أيضاً ، ولقد أردت أن أستمر فى انتقامى حتى النهاية ، ولكننى أحببتك .. هذا هو الشىء الوحيد الذى لم أضعه فى حسبانى .. لقد أحببتك يا (سهام).. أحببتك حبًّا حقيقيًّا منعنى من مواصلة انتقامى ، ولقد حاولت أن أقاوم هذا الحب ، وأن أقتله فى أعماقى ، ولكننى فشلت .. أما الآن فأنا أكرهك .. أكرهك؛ لأنك منعتنى من الانتقام لأبى وأمى. أكرهك ولا أريد رؤيتك بعد هذه اللحظة .. أنت طالق يا(سهام) ... طالق .

قال عبارته الأخيرة ، واندفع يغادر المنزل ، فى حين ظل (شاكر) متهالكاً على مقعده ، يعانى حساب

سنوات الضياع الطويلة ، وران على المكان صمت ثقيل ، يفوح برائحة الحقيقة المريرة ..

وفجأة حطَّمت (سهام) هذا الصمت، واندفعت خلف (مختار) ، وهى تهتف فى لوعة :

– (مختار) .. عُدْ يا (مختار) ..

ولكنه لم يعُدْ .. أبداً ..

* * *

١٢ ـ الحب اقوى ..

حينما حاولت (سهام) اللحاق بـ (مختار) خارج منزلها ، أبصرت به ينطلق بسيارته مبتعداً فى سرعة جنونية ، فاستوقفت إحدى سيارات الأجرة ، وتوسلت لسائقها أن يتبعه ، وكان (مختار) ينهب الأرض بسيارته وعقله شارد ، هائم فى عشرات الخواطر ، وقد استيقظت مأساته فى أعماقه ، فنكأت جرح نفسه العميق ، وخيِّل إليه أنه يرى ، على زجاج السيارة ، صورته وهو طفل ، يضحك فى مرح لمداعبات والده ، ثم مشهد أصدقاء أبيه ، وهم ينقلون جثته إلى المنزل ، وأمه خلف قضبان السجن ، ووجهها الذى يحمل مرارة الظلم والبهتان ، التى تحاول إخفاءها بابتسامة شاحبة باهتة ، وتردَّد فى أذنه صوت حارس السجن ، وهو يخبره بموتها ..

واستيقظ من ذكرياته فجأة ، حينما اعترضت طريقه سيارة نقل ضخمة ، وارتفع صوت بوقها

محذِّراً ، فانحرف بسيارته يميناً ، وفقدت السيارة توازنها مع سرعته الكبيرة ، واندفعت لترتطم بجذع شجرة ضخمة على جانب الطريق ، وتحطمت مقدمتها ، وتهشم زجاجها ..

ورأت (سهام) الحادث ، فصرخت فى لوعة وجزع ، وهتفت بالسائق أن يتوقف ، ولم يكد يفعل حتى قفزت من السيارة ، وهى تصرخ فى خوف وفزع ، وتهتف باسم (مختار) ، الذى لم يسمع حرفاً واحداً من صرخاتها ، ولم يشعر بما حوله ، وهو يهوى فى بئر مظلمة ..

• • •

فتح (مختار) عينيه فى صعوبة ، وهو يعانى آلاماً عنيفة برأسه ، وتحسس الأربطة والضمادات التى تحيط بها فى دهشة ، وشعر بساقيه متصلبتين ، وحاول أن ينقلب على جنبه ، فسرَى ألم هائل فى أوصاله ، جعله يعود إلى وضعه الأول ، وقد خيل إليه أن (سهام) تقف إلى جواره ، وتتمتم بكلمات غير مفهومة

وهى تحتضن كفه فى حنان ، ثم لم يلبث أن فقد وعيه مرة ثانية ..

لم يدر متى استعاد وعيه مرة ثانية ، ولكنه وجد شخصاً يفحصه فى عناية ، ويرتدى معطف الأطباء المميز ، ورأى ذلك الشخص يبتسم ، وهو يقول :

ـ حمداً لله على سلامتك .. اطمئن ، فجروحك ليست بالخطيرة ، لقد اقتصرت على بعض الكدمات والسحجات ، وستشفى قريباً بإذن الله .. إنك سعيد الحظ ؛ لأنك نجوت من موت محقق ، ولأن زوجتك أسرعت بنقلك إلى المستشفى ، ثم إلى منزلك ، ورعايتها الفائقة لك ، طوال الأيام الماضية ، حالت دون تفاقم الأمر ، وعاونت على قرب شفائك .. إنها سيدة رائعة. لقد أصرّت على العناية بك بنفسها ، ورفضت أن تقوم ممرضة متمرّسة بذلك ، ولقد قامت بمهمتها على خير وجه فى الواقع .

التفت (مختار) إلى (سهام) ، ورمقها بنظرة تحمل امتنانه ، وندمه على ما فعله بها فى أيام زواجهما ،

ولم يكد الطبيب ينصرف ، حتى أسرعت (سهام) تلتقط زجاجة دواء ، وتفرغ بعضاً منها فى ملعقة كبيرة ، قدمتها إليه فى اهتمام ، فغمغم فى ندم :

ـ (سهام) .. إننى ..

قاطعته فى حنان :

ـ لاتقل أى شىء .. تناول الدواء أولا .

أطاعها فى استسلام ، ثم فوجئ بها تنهض وتستعد للانصراف ، فهتف بها فى دهشة :

ـ (سهام) !! .. إلى أين ؟

أجابته فى صوت خافت :

ـ سأعود إلى منزلى .. لقد تجاوزت مرحلة الخطر ، وأصبحت حالتك مطمئنة ، ولن تلبث أن تسترد صحتك بعد أيام ، ولقد طلبت من الطبيب أن يرسل ممرضة مدرَّبة ، لتعتنى بك فى الأيام القادمة .

بدا صوته أقرب إلى الرجاء ، وهو يقول :

ـ ابقَىْ يا (سهام) .. أعلم أننى قد أخطأت فى حقك ، وأوقعت عليك ظلماً فادحاً ، لذنب لم تقترفيه

وأعلم أيضاً أنك تكرهيننى ، وأن بقاءك إلى جوارى ، فى الأيام الماضيـة ، يعود إلى نبـل أخلاقك ، وكرم محتدك ، وإلى عطف لا أستحقه ، وليس إلى حب ..

تطلعت إليه فى عتاب ، وهى تقول فى لوم :

— مازلت تظلمنى يا (مختار) .. مازلت لا تفهم شيئاً .

واختنق صوتها ، وهى تردف :

— أنت الذى تكرهنى ، ولقد أخبرتنى بذلك ، وأنا لا ألومك ، فأنا ابنة الرجل الذى تسبب فى مأساة حياتك ، وحينما أعدتنى إلى منزله ، كان ذلك بدافع من ضميرك الحى ، وليس بدافع الحب .. الإنسان النبيل فى أعماقك رفض أن يحيا وسط دموع وآلام الانتقام .

قاوم آلامه ، وهو يقول :

— من يظلم الآخر يا (سهام) ؟.. ربما كان بعض ما نطقت به حقيقة، ولكنه ليس كل الحقيقة .. ابقَىْ يا (سهام) .. إننى أحبك ، وأريدك إلى جوارى .. هذه هى الحقيقة .

هزت رأسها نفياً ، وهى تقول من وسط دموعها :

— أنا أيضاً أحبك يا (مختار) .. أحبك منذ أول لحظة وقعت فيها عيناى عليك ، وإن لم أدرك ذلك فى البداية .. أحبك منـذ صارحتنى بحقيقة عواطفك فى النادى .. أحبك حتى حينما كنت أظن أننى أكرهك وأمقتك .. لقد كنت أحاول إخفاء حبى خلف هـذه المشاعر ، ولكننى لا أستطيع أن أعود إليك .. فليحافظ كل منا على ما تبقى فى قلبه من حب للآخر ، فلو أننا بقينا إلى جوار بعضنا البعض ، فسنذبح حبنا بأيدينا .. فوجودى معك سيذكرك دائماً بمأساتك ، وكراهيتك لأبى ، وسيجعلك هـذا تكرهنى حتماً ، طال الوقت أو قصر .. وقد أنسى أنا ما كبدتنى إياه من العذاب ، ولكننى لن أنسى أبداً أنك تزوجتنى لتنتقم ، حتى وإن شاب ذلك بعض الحـب .. من الأفضل لكلينا أن ننفصل ، ويرحل كل منا بعيداً عن الآخر ، حتى يبقى حبنا يا (مختار) .

مدّ يده إليها ، وهو يقول فى رجاء :

— فلنمنح قلبينا فرصة ثانية ، ومن يدرى ؟ .. ربما كان حبنا أقوى من الذكريات ، والآلام والمرارة !

تطلعت إلى يده الممتدة إليها ، وهى تقاوم نداء تلك الأصابع المغناطيسية ، وتصارعت فى أعماقها رغبتها فى أن تلقى نفسها بين ذراعيه ، وتريح رأسها على صدره ، وتعلن استسلامها لحبه ، وإصرارها على مقاومة عواطفها ، فى حين ظلت يده تمتد إليها ، وهو يستطرد فى حب :

— (سهام) .. لا تضيعى فرصتنا الأخيرة .. إننى أحبك .. إنها الرغبة الوحيدة التى بقيت فى أعماق يا (سهام) .. إننى أشعر بذلك أكثر من أى وقت مضى .. صدقينى .. لقد شفيت جراح جسدى ، ويمكنك شفاء جراح نفسى .. ابقَىْ يا (سهام) .. أرجوك .

تلاشت قدرتها على المقاومة ، أمام لهجته الحانية العذبة ، وعجز حبها له عن مقاومة نداء قلبه ، فرفعت كفها إلى أصابعه المغناطيسية ، ولم تكد أناملهما تتلامس

حتى تعانقت أصابعهما فى لهفة ، وألقت (سهام) نفسها على صدره فى حب ، فاحتضنها بذراعيه فى رفق وحنان ، وأخذ يمسح على شعرها فى رقة ، فتطلعت إلى عينيه ، وهى تغمغم :

— هل يمكننا أن ننسى الماضى ؟

قبّل رأسها فى حنان ، وهو يهمس :

— سننساه يا (سهام) .. سننساه ؛ لأن حبنا أقوى من كل آلامه وذكرياته .. صدقينى .

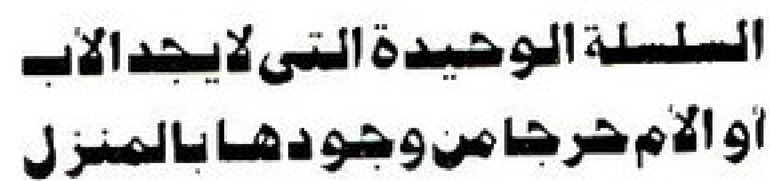
وعادت تدفن رأسها فى صدره ، وقد أيقن كل منهما أنهما سينجحان ، وأن حبهما سيكتسح بأمواجه كل عذاب الأيام والسنين ..

وسيبقى الحب ، بلا كراهية ..

[تمت بحمد الله]



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



المؤلف



أ . شريف شوقى



حب وكراهية

التفت فتيات الإسكندرية حول ذلك الشاب الوسيم الثرى ، الذى أصبح محط أنظار الجميع ، منذ ظهوره فى الأوساط الراقية ، ولكنه تعلق بـ (سهام) وحدها ، وتعلقت هى به ، وغزل الحب خيوطه حولهما ، ولكن القدر أبى أن يمنحهما الحب فقط ، بل كانت علاقتهما مزيجا عجيباً .. مزيجاً من حب وكراهية ..

الثمن فى مصر
ومايعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم